عُلُومُ القُرآن

إبراهيم النعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المحتوى

مقدمة...٥

علوم القرآن..................................٦-٧

المؤلفات في العصر الحديث

القرآن الكريم................................٨-١٢

اسماءالقرآن واوصافه–الفرق بين القرآن والحديث القدسي

وحي الله الى رسله ١٣-١٨

تعريف الوحي–النبي والوحي–انواع الوحي

نزول القرآن..................................١٩-٢٦

عدد تنزيلات القرآن–كيفية نزول الايات–تنجيم القرآن موقف المشركين من التنجيم–حكمة تنزيل القرآن منجما–نوعان من الاعجاز في التنجيم.

الاية والسورة...............................٢٧-٣٤

ترتيب الايات– اسماء السور– هل اسماء سور القرآن توقيفية– اقسام السور– ترتيب السور

جمع القرآن..................................٣٥-٤١

حفظ القرآن في الصدور– كتابة القرآن الكريم في عهد النبيﷺ– لماذا لم يأمر النبيﷺ بجمع القرآن في حياته؟– كتابة القرآن في عهد ابي بكرﷺ – جمع القرآن الكريم في عهد عثمانﷺ– عدد المصاحف– مقارنة

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل......................٤٢-٤٤

فوائد معرفة أول الآيات نزولا وآخرها

المكي والمدني..............................٤٥-٤٨

ضوابط السور المكية - ضوابط السور المدنية - فوائد معرفة المكي والمدني – عدد السور المكية والمدنية

نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ٤٩-٦٧

الأحرف السبعة – معنى الأحرف السبعة -الاتجاه الاول – الاتجاه الثاني – القول الراجح – الرخصة بين التلاوة والكتابة – بين القراءات السبع والأحرف السبعة – هل أحسن ابن مجاهد في جمعه القراءات السبع – لهجة قريش والقراءات – لم تعددت القراءات؟ - كيف نشأ علم القراءات؟ – أعداد القراءات – تدوين القراءات السبع –

شروط القراءة الصحيحة - القراء السبعة - بقية العشرة
- بقية الأربع عشرة - قراءة حفص عن عاصم -
المستشرقون والقراءات القرآنية

إعجاز القرآن..٦٨

المحكم والمتشابه...............................٧٧-٨٢

تعيين المحكم والمتشابه - أنواع المحكم أنواع المتشابه -
تقديم المحكم على المتشابه - هل يمكن العلم بالمتشابه -
فوائد المتشابه الذي يمكن علمه - فوائد المتشابه الذي لا
يمكن علمه - موقف العلماء من متشابه الصفات

الناسخ والمنسوخ..............................٨٣-٨٧

ما يقع فيه النسخ - أقسام النسخ - حكم الآيات المنسوخة
- حكمة النسخ آراء العلماء في النسخ

اسباب النزول...................................٨٨-٩١

معرفة سبب النزول - أسباب النزول وفهم القرآن -
فوائد معرفة أسباب النزول

ترجمة القرآن

...٩٢-٩٦

حكم الترجمة الحرفية - نماذج من آيات القرآن لا يمكن
ترجمتها - حكم الترجمة التفسيرية - شروط الترجمة
التفسيرية - المذاهب الاسلامية وترجمة القران - أحكام
تتبني على معاني القرآن

مقـــــدمـــــة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه، وعلى سائر أنبيائه ورسله وآله الطيبين وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبع هداه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فان القران الحكيم هو آية الله العظمى، ومعجزته الكبرى، وحجته البالغة، ونوره الساطع، ودستور المسلمين الدائم، ومصدر الهداية والرشاد ... به أنقذ الله الدنيا المعذبة من حياة التيه والضياع إلى السعادة المثلى، التي لا يجدها الإنسان إلا بهذا الدين. فلا عجب أن يكون القران وعلومه موضع عناية المسلمين، منذ أن انزله الله على النبي محمد ﷺ والى أن تقوم الساعة...

لقد كانت علوم القران-وما زالت كذلك- من العلوم العظيمة الشأن، والجليلة القدر، اذ تتحدث في العلوم المتصلة بالقرآن كله.

وفي هذه الرسالة الصغيرة، بحوث في مسائل مهمة في(علوم القرآن)، كتبتها لتكون مرجعا لأفلاذ اكبادنا من طلاب المدارس والجامعات، ولتكون ثقافة عامة لكل مسلم، وبخاصة من يتصدى لدعوة الناس إلى الإسلام. ولقد حاولت كتابتها باسلوب واضح؛ ليتيسَّر فهمها لدى القارئ، مبتعدا عن كثير من الآراء التي لم نجد لها سنداً صحيحاً، سائلاً الله وحده أن يلهمني الهداية والسداد، وأن ينفعني بها كتبت يوم الدين!

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات!

إبراهيم النعمة

علـــوم القـــرآن

العلوم: جمع علم، والمراد به: الفهم والإدراك. وقد أضيفت كلمة (علوم) إلى(القرآن) فصار هذا العلم يبحث في العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم -كلها- كموضوعات: وحي الله إلى رسله، ونزول القرآن وجمعه، وأول ما نزل منه وآخر ما نزل، والمكي والمدني، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وإعجازه، والمحكم والمتشابه فيه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وترجمته إلى لغات العالم، وغير ذلك من العلوم... ولقد كان شأن علوم القرآن كشأن سائر العلوم الأخرى، لم تظهر في شكلها المتكامل الذي هو عليه اليوم دفعة واحدة، بل كانت مبعثرة في بطون الكتب هنا وهناك،ثم دونَت في مصنفات خاصة تدل على علمٍ بذاته شبيه بعلم مصطلح الحديث.

إن هذا العلم الجليل لم يصنف فيه قبل القرن الرابع الهجري -وإن كانت موضوعاته متوافرة في صدور العلماء- ويدل على هذا سؤال هرون الرشيد للإمام الشافعي عن علمه بكتاب الله؛ فأجاب الشافعي:

(إن علوم القرآن كثيرة، فهل تسألني عن محكمه ومتشابهه، او عن تقديمه وتأخيره، او عن ناسخه ومنسوخه، او عن مجمله ومفصله، او عن أسباب نزوله)[1].

ومن أوائل من افرد لعلوم القرآن كتاباً خاصاً له أهميته: عبد الرحمن ابن علي بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وذلك في كتابه (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) و (المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن).ثم الّف أبو

(١)علوم القرآن تأليف الشيخ عبد الرحمن فرغل ص٩ تحقيق الدكتور رشيد نعمان التكريتي، شركة الديوان للطباعة ٢٠٠٢.

شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ كتابه (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز).

وجاء بعده الزركشي المتوفى سنة٧٩٤هـ والّف كتابه (البرهان في علوم القرآن).

ثم جاء البلقيني المتوفى سنة٨٤٢هـ وقد الف كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم). أما السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ فقد الّف كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

وكادت حركة التأليف تتوقف بعد ذلك، حتى جاء العصر الحديث الذي كثرت فيه المؤلفات في علوم القرآن.

المؤلفات في العصر الحديث

هناك اتجاهان في التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث:

الاول: منهج العلماء الذين جمعوا موضوعات في علوم القرآن، متبعين منهج العلماء المتقدمين: كالزركشي في برهانه، والسيوطي في اتقانه، ومن تلك المؤلفات المهمة كتاب: (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، و (مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح، و (مباحث في علوم القرآن) تأليف مناع القطان، و (محاضرات في علوم القرآن) تأليف الدكتور غانم قدوري الحمد، و(لمحات في علوم القرآن) تأليف الدكتور محمد لطفي الصباغ، وهناك كتب اخرى كثيرة...

الثاني: مؤلفات في علم واحد من علوم القرآن أو مسألة من مسائله مثل كتاب: (النبأ العظيم) تأليف محمد عبد الله دراز، و(النسخ في القرآن) تأليف الدكتور مصطفى زيد، و(الاعجاز البياني للقرآن) للدكتورة عائشة عبد الرحمن... وغيرها كثير.

القـــرآن الكريـــــم

القران: هو كلام الله المعجز، المنزل على النبي محمد ﷺ باللفظ العربي، المكتوب بين دفتي المصحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس. وهو كتاب هداية للناس جميعاً عربهم وعجمهم، وهو كتاب خالد، لا يدخله شئ من التحريف او التزوير او الزيادة فيه او النقص منه؛ لان الله ﷻ هو الذي تكفل بحفظه فقال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ سورة الحجر/ ٩

لقد انزل الله هذا القرآن على رسوله محمدﷺ، وتحدى العرب -وهم أرباب الفصاحة والبلاغة- أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا أيضا. وهذا الإعجاز كان ولا يزال قائماً، وسيظل -كذلك- الى أن يرث الله الأرض ومن عليها: فلا يستطيع الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، قال الله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء/ ٨٨.

إن هذا القرآن انزله الله مفرّقاً حسب الوقائع والأحداث، ودوِّنَ بين دفتي المصحف، ونقله جماعة عن جماعة بالتواتر، وتلاوته لون من ألوان العبادة التي يتقرب المسلم بوساطتها إلى الله، فيكتب له الخير والمثوبة.

ويحسن بنا أن نشرح شيئا من هذا التعريف:

فقولنا: (كلام الله) الكلام: جنس يشمل كل كلام، وحين اضيف الى الله تعالى خرج كلام غيره من البشر والجن والملائكة.

وقولنا(المعجز) يخرج بهذا القيد كلام الله الذي عبر عنه الرسولﷺ بلفظه.

وقولنا: (المنزل على النبيﷺ) يخرج كلام الله الذي انزله على انبيائه السابقين كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، وما ألقاه الى ملائكته من كلام ليعملوا به، لا لينزلوه على احد من البشر.

وقولنا: (باللفظ العربي) خرجت بهذا القيد الترجمات الى اللغات الأخرى، فإنها تسمى ترجمات تفسير القران ولا تسمى قرآناً.

وقولنا: (المكتوب بين دفتي المصحف) خرجت الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، التي أوحاها الله الى رسوله ولم ينسبها النبيﷺ الى الله تعالى.

وقولنا: (المنقول بالتواتر) خرجت بهذا قراءات الآحاد.

وقولنا: (المتعبد بتلاوته) خرجت بهذا قراءات الآحاد والأحاديث القدسية.

أسماء القرآن وأوصافه

أنزل الله تعالى عدداً من كتبه على عدد من رسله، وكل كتاب من كتبه له اسمه الخاص به: فأنزل التوراة على سيدنا موسى، والإنجيل على سيدنا عيسى، والزبور على سيدنا داؤد، والصحف على سيدنا إبراهيم وموسى. وأما القرآن الكريم، فقد أنزله الله على سيدنا محمدﷺ.

وللقرآن الكريم ثلاثة أسماء مشهورة هي: القرآن والكتاب والفرقان، وأشهرها الاسمان الأولان.

وهناك من العلماء من أحصى للقرآن خمسة وخمسين اسماً (١)، وبالغ بعضهم فأوصلها الى نيف وتسعين اسماً(٢). وعند التأمل فيها، نرى أن أكثرها أوصاف للقرآن وليست بأسماء، ومن هذه الأسماء والأوصاف:

١- القرآن: قال تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ سورة الإسراء/ ٩

٢- الكتاب: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سورة الأنبياء/ ١٠

٣- الفرقان: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ سورة الفرقان/ ١

أما الأسماء الغالبة عليه، فهي -كما ذكرنا-: القرآن والكتاب. يقول الدكتور محمد عبد الله درّاز:

(روعي في تسميته قرآناً كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام . فكلتا التسميتين من تسمية شئ بالمعنى الواقع عليه)(٣).

ولقد وصف الله القرآن بأوصاف كثيرة -كذلك- منها:

(١)ذهب الى هذا أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المتوفى سنة ٤٩٤. ينظر: البرهان في علوم القرآن تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. ١/ ٣٤٣، -خرج حديثه، وقدم له، وعلّق عليه: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨. دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان. والإتقان في علوم القران للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ١/ ١٧٨ بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤.

(٢)البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٤٣.

(٣) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله درّاز ص١٢ طبعة دار القلم الكويت

١- نور: قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ سورة النساء/ ١٧٤

٢- هدى ٣- شفاء ٤- رحمة ٥- موعظة قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾سورة يونس/ ٥٧.

٦- مبارك: قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ سورة الأنعام/ ٩٢ .

٧- مبين: قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ سورة المائدة/ ١٥.

٨- بشرى: قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة البقرة/ ٩٧.

٩- عزيز: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ سورة فصّلت/ ٤١.

١٠- بشير ١١- نذير: قال تعالى:﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سورة فصّلت/ ٣-٤.

١٢- مجيد: قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ سورة البروج/ ٢١.

١٣- الذكر: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ سورة الحجر/ ٩.

وكل تسمية او وصف للقرآن الكريم ورد في كتاب الله، فهو باعتبار معنىً من معانيه.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي منها:

١- القرآن الكريم كلام الله الذي أوحاه الى محمدﷺ بلفظه، وتحدى به العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، فقد وقع به التحدي والإعجاز.أما الحديث القدسي، فلم يقع به شئ من ذلك .

٢- القرآن الكريم ينسب الى اللهﷻ مباشرة، فيقال: قال الله تعالى، أما الحديث القدسي، فيروى مضافا الى الرسولﷺ. فالرسول هو الذي يخبر به عن الله فيقال: قال رسول اللهﷺ فيما يرويه عن ربهﷻ .

٣- القرآن الكريم نقل كله بالتواتر: فهو قطعي الثبوت، أما الأحاديث القدسية، فإن أكثرها أخبار آحاد: فهي ظنيةُ الثبوت. والحديث القدسي قد يكون صحيحا او حسناً او ضعيفاً.

٤- كل لفظ من ألفاظ القرآن، بل كل حرف من حروفه هو من عند الله، أما الحديث القدسي، فمعناه من عند الله، ولفظه من عند الرسولﷺ على الصحيح: فهو وحي الله بالمعنى دون اللفظ.

٥- القرآن الكريم متعبّد بتلاوته، ولا تصح الصلاة إلا به، ويثيب الله على تلاوة كل حرف فيه ثوابا عظيما، أما الحديث القدسي فلا تجزئ قراءته في الصلاة، ويثيب الله على قراءته ثوابا عاماً ولكن ليس كثواب تلاوة القرآن الكريم.

وحي الله الى رسله

معنى (الوحي) في اللغة: الإشارة السريعة، والإعلام الخفي السريع، بحيث يخفى على من يوجه لغير المخاطب، وعلى هذا جاء قوله تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ سورة مريم/ ١١ أي أشار إليهم ولم يتكلم. ويدخل أنواع في هذا الإعلام منها:

١- الإلهام الغريزي: كالوحي إلى النحل، قال تعالى:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ...﴾ سورة النحل/ ٦٨-٦٩.

٢- إلهام الخواطر الذي يلقيه الله إلى بعض من الناس كالوحي إلى أم موسى، قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص/ ٧.

٣- وسوسة الشيطان، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ..﴾ سورة الأنعام/ ١٢١.

٤- الأمر: قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ سورة المائدة/ ١١١.

٥- ما يلقيه الله الى ملائكته من أمر، قال تعالى:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ..﴾ سورة الأنفال/ ١٢.

ونتأمل بوحي الله إلى أنبيائه ورسله، فنرى فيه معنى الخفاء والسرعة[1].

ولم يكن رسولنا محمدﷺ هو الوحيد من رسل الله الذين أوحى الله إليهم، فقد أوحى إلى الرسل الذين جاءوا من قبله بمثل ما أوحى إليه، قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ سورة النساء/ ١٦٣-١٦٤.

تعريف الوحي

الوحي: (أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر)[2].

النبي والوحي

النبي: إنسان اصطفاه الله من الناس، واختاره لحمل رسالته، وأوحى له ما شاء من العقيدة والشريعة والأخلاق، وأمره بتبليغها. فالوحي أمر

(١)الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا ص٤٤ طبعة المكتب الإسلامي-بيروت-لبنان.

(٢)مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني١/ ٦٣ دار الفكر.

يتعلق بالله تعالى وحده، يوحي الى نبيه ما يشاء في الزمن الذي يريده، ولا يد للنبي في أيِّ جانب كان من جوانبه سوى تبليغ ما يوحى إليه.

ولمّا قال النبيﷺ لجبريل: يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزل قول الله تعالى:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[1] سورة مريم/ ٦٤.

وحين نتلو القرآن الكريم، نرى أدلّة كثيرة تنص على أن أمر الوحي متعلّق بالله وحده، فلا يتحكم النبي في أي شأنٍ كان من شؤونه.

أما أول الأدلة، فيتمثل بعدد من النوازل التي أصابت النبيﷺ، وكان من أشدها حديث الإفك عن زوجه الطاهرة المطهرة المبرأة الصديقة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أحب زوجاته إليه، فقد افترى المنافقون عليها ما افتروا، وخدع بهذا الافتراء قسم من المسلمين، وتحرّج موقف النبيﷺ حين طعن بشرفه، وبذل جهده في التحرّي والإستشارة، وكان في غاية الشوق الى نزول آياتٍ تحسم الأمر، وأبطأ الوحي عليه، وظلّ النبي الكريم شهراً كاملاً وهو يقلب وجهه في السماء من غير أن ينزل عليه شئ، وبعد تلك الأيام العصيبة التي عايشها الصحابة مع نبيهم وهم يتقلبون على جمر الغضى، نزلت آيات سورة النور بتبرئتها: فما الذي يمنع النبيﷺ لو كان القران من عند نفسه، أن يقول كلاماً ليحمي عرضه، ويميت حديث الإفك في مهده، وليتخلص وصحابته من ذلك الحرج الذي لم يصابوا بمثله؟!.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد(باب: قوله تعالى [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين] . ينظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني١٣/ ٥٣٩ حديث ٧٤٥٥، الطبعة الثالثة ١٤٢١- ٢٠٠٠، مكتبة دار السلام في الرياض ودار الفيحاء في دمشق.

وأما ثاني الأدلة، فقد نزلت آيات القران تعاتب النبيﷺ على قسم من مواقفه. من ذلك قوله تعالى في أمر زواجه من زينب بنت جحش:

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾سورة الأحزاب/ ٣٧.

فقد ألهم الله رسوله محمداًﷺ أن زينب بنت جحش ستكون له زوجة بعد أن يطلقها زيد بن حارثة، وأخفى النبي هذا في نفسه من غير أن يبوح به، لكن الأمر الذي خشي النبيﷺ من مغبته هو الذي أراد الله إظهاره.

فلو كانت آيات القرآن يحررها النبيﷺ بنفسه، أو يتحكم في الأخذ بها لكتم النبي الكريم ذلك-وحاشاه أن يفعل-فهو الصادق المصدوق وقد قالت السيدة عائشة(رضي الله عنها):

(لو كتم رسول اللهﷺ شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾)[1].

وأمّا ثالث الأدلة، ففي قوله تعالى في شأن كبراء قريش وعبد الله بن أم مكتوم:

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ سورة عبس/ ٥-١٠.

نزلت هذه الآيات تعاتب النبيﷺ عتابا شديدا؛ لأنّه لم يهتم بعبد الله ابن أم مكتوم لّما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله، والنبي الكريم مشغول بدعوة كبراء قريش الذين إن كُتب لهم أن ينضووا تحت لواء الإسلام، فإنّ

(١)تفسير الطبري ٢٢/ ١٣. الطبعة الثانية ١٣٧٣-١٩٥٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

أعدادا كثيرة من أهل مكة ستنضوي تحت لوائه، فنزلت هذه الآيات التي فيها عتاب شديد على النبيﷺ.

فلو كان النبيﷺ يتحكم بالوحي -كما يفتري المفترون- لما أعلن ذلك على النّاس لأنّ في ستر هذا استبقاءا لحرمة آرائه. وفي القرآن آيات أخرى في هذا المعنى. إنّه النبي ينفّذ أمر الوحي ولا يتحكّم فيه.

أنواع الوحي

يوحي الله إلى رسله بوساطة وبغير وساطة:

١- أمّا التي بغير وساطة فهي أنواع:

أ- الرؤيا الصادقة في المنام. فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت:

(أول ما بُدئ به رسول اللهﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)[1]. وكان هذا تهيئة لنزول الوحي على النبيﷺ.

ومن أمثلة ذلك أيضا رؤيا سيدنا إبراهيم في المنام أنّه يذبح ولده إسماعيل، وقد أراد مباشرة ذلك لولا أن فداه الله بذبح عظيم قال تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ..﴾ سورة الصافات/ ١٠٢.

لقد أدرك إسماعيل أنّ رؤيا الأنبياء وحي من الله يجب العمل به؛ لذلك قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾، ولم يقل له: ما تحلم به أو ما تراه مثلا. فلو لم تكن رؤيا الأنبياء وحيا يجب إتباعه، لما أقدم سيدنا إبراهيم مريدا ذبح ولده إسماعيل، ولما ردّ إسماعيل بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾. ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أنّ الرسولﷺ لم يتلق شيئا من القرآن من هذا الطريق.

(١)رواه البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ ١/ ٣ مصورة دار الفكر عن دار الطباعة العامرة باستانبول.

ب. الكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة من غير وساطة: كما حدث لسيدنا موسى(عليه السلام)، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ سورة الأعراف/ ١٤٣.

٢- وأمّا التي بالوساطة فهي بوساطة جبريل(عليه السلام)، وهي في صورتين:

أ- أن يأتيه الملك خفية من غير أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغيير:

فيأتيه مثل صلصلة الجرس والصوت القوي، وكان هذا أشد مراتب الوحي على النبيﷺ.

ب- أن يأتيه في صورة بشر. وهذه أخف من سابقتها على النبيﷺ.

وهاتان الحالتان ذُكرتا في حديث رسول اللهﷺ:

(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثّل لِيّ الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول...)[1].

وتروي السيدة عائشة(رضي الله عنها) ما كان يُصيب الرسولﷺ من شدة حين نزول الوحي عليه فتقول:

(ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصّد عرقا)[2].

والمراد بهاتين الحالتين القسم الثالث من أقسام التكليم الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ سورة الشورى/ ٥١.

(١)رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب: كيف كان بدء الوحي على رسول اللهﷺ ١/ ٢-٣.

(٢)رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (باب:٢) حديث٢. ينظر: فتح الباري ١/ ٢٤

نــزول القــرآن

نص الله تعالى في كتابه على أن القران الذي نزله على نبيه محمدﷺ جاء بلسان عربي مبين، وإن جبريل هو الذي نزل به على نبيه، قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ سورة الشعراء ١٩٢-١٩٥

وقال:

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سورة النحل/ ١٠٢.

وقال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ..﴾[1] سورة البقرة/ ٢٣.

والمدة التي نزل بها القرآن على النبيﷺ ما يقرب من ثلاثة وعشرين سنة، قال تعالى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ سورة الإسراء/ ١٠٦.

وواضح من هذه الآية: أن القرآن الكريم نزله الله على رسوله مفرقاً، على خلاف إنزال الكتب السماوية الأخرى: كالتوراة والإنجيل والزبور؛

(١) التعبير القرآني بالتنزيل دون الإنزال يدل على انّ القرآن نزل منجماً وليس جملة واحدة. وقد قرر علماء العربية ان التنزيل لما نزل مفرّقاً والإنزال أعم. قال الراغب الاصفهاني: (الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة: ان التنزيل يختص بالموضوع الذي يشير اليه انزاله مفرّقاً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام).

المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٤٩١،راجعه وقدم له وائل احمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

فإن الله ﷻ انزل كل واحد منها جملة واحدة ولم ينزلها مفرقة، وقد عجب الكفار من ذلك، فحكى الله تعالى قولهم:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ سورة الفرقان/ ٣٢.

عدد تنزيلات القرآن

ذهب جمهور العلماء الى أن للقرآن ثلاث تنزيلات:

الأول: الى اللوح المحفوظ.

الثاني: الى بيت العزة في السماء الدنيا.

الثالث نزوله من بيت العزة في السماء الدنيا مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام.

وحين نتأمل في أسانيد هذا التقسيم نجدها صحيحة كلها، بيد أن بعضاً من افذاذ العلماء لم يقولوا به، مستدلين بأن القول في هذه التنزيلات من عالم الغيب التي ما اطلعنا الله عليها، فلا يؤخذ بمثل هذه القضية إلا بما تواتر يقينا في الكتاب أو السنة: فلا تكفي صحة الأسانيد إذا اختلفت مع ظاهر القرآن. فنحن نعتقد أن القرآن الكريم انزل في ليلة من ليالي شهر رمضان، بدليل قوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾سورة البقرة/ ١٨٥.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ...﴾ سورة الدخان/ ٣.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ...﴾ سورة القدر/ ١.

كيفية نزول الآيات

١-أكثر آيات القران نزلت ابتداءاً لترشد الناس الى العقيدة الصحيحة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتتحدث في قصص الأمم مع أنبيائها وآيات المواعظ، والإخبار بالمغيبات.

٢-نزلت بعض آيات القرآن جوابا عن سؤال، او تصحيحاً لأخطاء، او تبياناً لحكم قضية وقعت في المجتمع. مثال ذلك قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ سورة البقرة/ ٢١٩.

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾سورة البقرة/ ١١٧.

وروى البخاري قال:

(صعد النبيﷺ الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش قالوا مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدوّ يصبحكم أويمسيكم أما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ..﴾[١] سورة المسد١-٥.

تنجيم القرآن

التنجيم في اللغة: التفريق. وتنجيم القرآن: نزوله مفرّقاً على دفعات، قال تعالى:

(١)فتح الباري٨/ ٦٨٥

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ سورة الإسراء/ ١٠٦.

قال ابو شامة المقدسي:

(فلما قطع الله –سبحانه- القرآن، وأنزله مفرقا قيل لتفاريقه نجوم)[1].

موقف المشركين من التنجيم

شكك المشركون بالقرآن الكريم، محتجين بأنه لم يأت على سنن الكتب التي انزلها الله من قبل، فقد كانت الكتب السماوية تنزل جملة واحدة، وانزل هذا القران منجماً مفرّقاً، وقد سجل القرآن ما قاله المشركون فقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ سورة الفرقان/ ٣٢.

ويفسر الآية أبو شامة المقدسي الدمشقي فيقول:

(فان قلت ما السر في نزوله الى الارض منجماً؟ وهلا انزل جملة كسائر الكتب؟ قلت: هذا سؤال قد تولى الله –سبحانه- الجواب عنه فقال في كتابه العزيز: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾، يعنون: كما انزل على من كان قبله من الرسل، فأجابهم الله تعالى بقوله: [كذلك] أي أنزلناه كذلك مفرقاً [لنثبت به فؤادك]: أي لنقوي به قلبك؛ فان الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز؛ فيحدث له من السرور

(١)المرشد الوجيز لابي شامة المقدسي ص١٨

ما تقصر عنه العبارة؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام)[1].

حكمة تنزيل القرآن منجماً

كانت الكتب السماوية-قبل القرآن- تنزل على الأنبياء جملة واحدة. أما القرآن الكريم، فقد نزل مفرقاً حسب الوقائع والمناسبات: فتارة تنزل عليه سورة كاملة كما في سورة (الفاتحة)، و(البينة)، و(الكوثر)، و(النصر)، و(المسد)، و(المعوذتين)[2].

وتارة تنزل عليه عشر آيات كما في حادثة الإفك، وتارة خمس آيات، وهكذا... وقد ذكر العلماء عدداً من الحكم في ذلك منها:

١ - تثبيت فؤاد النبيﷺ:

وقد صرّح القران الكريم بذلك، فقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ سورة الفرقان/ ٣٢

وتنضوي تحت هذه الحكمة ما يأتي:

أ- تيسير حفظ القرآن لرسول اللهﷺ ومعرفة أحكامه.

ب- كل أية من آيات القرآن تنزل على رسول الله تحمل التحدي للعرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله.

ج- كان الرسولﷺ يلقى من الشدائد ما يلقى وهو يبلغ رسالة الله، فكانت تلك الآيات تسلية له في صور كثيرة.

(١)المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص٢٧-٢٨ تأليف شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابي شامة المقدسي حققه: طيار التي قولاج. دار صادر ١٣٩٥-١٩٧٥.

(٢)الإتقان ١/ ١٣٦

د - تنزيل القرآن منجما فيه تربية دقيقة للرسولﷺ والمسلمين معه.

٢- تيسير حفظه وفهمه للمسلمين:

وذلك أمر واضح يدركه كل أحد، اذ لو انزل القرآن جملة واحدة، لشق ذلك على المسلمين، ولصعب عليهم حفظه، فضلا عن فهم معانيه، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ سورة الإسراء/ ١٠٦

٣- مواكبة ما يحدث في المجتمع:

وتتمثل هذه الحكمة بصور كثيرة منها:

أ- التدرج بالأحكام: ليقبلها المسلم مسلّماً بذلك ويعمل بها. فلو انزل القرآن دفعة واحدة لما تمكن في قلوب الناس ذلك التمكن، وربما ينفر من قبوله بعض الناس. وكمثال على ذلك: ما كان من أمر التدرج في تحريم الخمر، قالت عائشة(رضي الله عنها):

(إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل: فيها ذكر الجنة والنار، ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا)[1].

ب- تحدث في المجتمع وقائع كثيرة، ويحتاج الناس الى معرفة حكمها، فتنزل الآيات مبينة تلك الأحكام، وهذه الوقائع تحدث مفرقة بين حين وآخر.

جـ-تنبيه المسلمين لما يقعون به من أخطاء كما حدث في غزوة احد، اذ خالف الرماة وصية رسول اللهﷺ بعد تركهم المكان التي كانوا فيها، فحصل ما حصل من هزيمتهم هناك.

(١)رواه البخاري في باب: تأليف القرآن. والمراد بالمفصل: قصار السور

د- فضح المنافقين وكشف أسرارهم؛ ليطّلع المسلمون على مكايدهم فيأمنوا شرهم.

وأخيراً:

(لو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة، لتحول سريعاً الى كلمة مقدسة خامدة، والى فكرة ميتة، والى مجرد وثيقة دينية، لا مصدرا يبعث الحياة في حضارة وليدة. فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لأسرّ لها إلا في هذا التنجيم)[1].

نوعان من الإعجاز في التنجيم

يستطيع المتأمل في الدراسات القرآنية أن يتوصل الى أنّ في القرآن الكريم أنواعاً كثيرة من الإعجاز، وسنقف أمام اثنين منها فيما يتعلق بالتنجيم:

الأول: ظل البيان القرآني محافظاً على مستواه الرفيع في بلاغته العالية في كل سورة من سوره، فقد جاء نظمه في قمة الحسن، ولم يجد العظماء والبلغاء تفاوتاً في فصاحة وبلاغة آياته، وهذه الظاهرة لا نستطيع أن نجدها في غير القرآن الكريم،حتى في مجال البيان العربي، لا نجد فصيحا واحدا استطاع أن يحافظ على مستواه الرفيع من غير أن ينحط عن منزلته الرفيعة، (ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وبزهير إذا رغب).

الثاني: ان سور القران نزل كثير من آياتها في أوقات متباعدة، والمتأمل في كل سورة من تلك السور، يجد التماسك والائتلاف بين آياتها، وكأنها

(١)الظاهرة القرآنية تأليف: مالك بن نبي ص٢٢٢، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة منقحة بتقديم محمود محمد شاكر، دار الفكر.

أنزلت مرة واحدة ولم تنزل في سنوات عديدة. وما أروع ما دونه يراع الشيخ محمد عبد الله دراز -رحمه الله- فقد قال:

(اعمد الى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى -وما أكثرها في القرآن- فهي جمهرته، وتنقّل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت،؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطّأت أولاها لأخراها؟.. وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها او مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى.

ولسوف تحسب أن السبع الطوال[1] من سور القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ انه كلها أو جلها قد نزلت نجوماً)[2].

(١)وإذا كانت هذه السور على طولها وكثرة نجومها لا يبدو عليها انفصال النظم، فما ظنك بما دونها من سور المفصّل، فقد جرى التنجيم حتى في بعض القصار منها: كالضحى، وإقرأ، والماعون، والتي نزلت كل واحدة منها مفرقة الى نجمين.

(٢)النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص١٥٤. الطبعة الثانية ١٣٩٠-١٩٧٠. دار القلم/ الكويت

الآيـــــة والســـورة

للفظ الآية عدد من المعاني اللغوية:

١ - فقد وردت بمعنى العلامة، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سورة البقرة/ ٢٤٨.

٢- وجاءت بمعنى المعجزة، ومنه قوله تعالى:

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ سورة البقرة/ ٢١١.

٣- وجاءت بمعنى العبرة، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً...﴾سورة النحل/ ١١.

٤- وجاءت بمعنى الأمر العجيب ومنه قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ سورة المؤمنون/ ٥٠

٥- وجاءت بمعنى الدليل والبرهان، ومنه قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ سورة الروم/ ٢٢

٦- وجاءت بمعنى الجماعة: تقول خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم.

أما لفظ السورة فله عدد من المعاني اللغوية، من أهمها أن السور يطلق على ما ارتفع من الأرض. والتسور: هو الارتفاع من منزلة الى منزلة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ سورة ص/ ٢١.

وسميت السورة سورة لرفعة شأنها وعظم شرفها.

وعرفها العلماء بأنها طائفة من آيات القران، مسماة باسم خاص، لها فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

ترتيب الآيات

كان الرسول الكريمﷺ إذا نزلت عليه آيات من القرآن، يدعو بعض من يكتب، طالباً منه أن يضع هذه الآية أو الآيات في سورة كذا بعد آية كذا. روى الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول اللهﷺ جالساً اذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض، قال: ثم شخص ببصره فقال: (أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾[1].

ونستطيع أن نرى تتابع الآيات في السور واضحة في تلاوة النبيﷺ للسور في الصلاة وخارجها، وقد نقل الصحابة كثيراً من تلك الروايات، لذلك قال السيوطي:

(الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك)[2].

وقال جعفر بن الزبير:

(ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفهﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين)[3].

وقال الباقلاني:

(.. وإن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظّمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آي السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخِّر منه مقدم، وإن الأمة

---

(١)رواه الإمام أحمد ١٣/ ٥٤٦ حديث رقم ١٧٨٤٢، المسند للإمام أحمد شرحه حمزة أحمد الزين. الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥، دار الحديث، القاهرة.

(٢)الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١/ ٢١١.

(٣)الإتقان ١/ ٢١١-٢١٢.

ضبطت عن النبيﷺ ترتيب آي كل سورة ومواضعها، وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة)[1].

لذلك لا يجوز ترتيب آيات القرآن ترتيباً جديدا، وهذا بإجماع المسلمين.

اسماء السور

أكثر سور القرآن الكريم لها اسم واحد، وقد يكون لها اسمان فأكثر، مثال ذلك سورة براءة التي تسمى بسورة التوبة، وسورة الاسراء وتسمى بسورة بني اسرائيل، وسورة غافر وتسمى بسورة المؤمن، وسورة محمد وتسمى بسورة القتال، وسورة تبارك وتسمى بسورة الملك، وهكذا...

١- سميت سور القرآن بما افتتحت به وما ذكر في أوائلها: كسورة الأنفال وسورة الإسراء. وهذه القاعدة ليست مطردة، فهناك خمس وثلاثون سورة في القران الكريم لم تسم بما افتتحت به مثل سور: البقرة، ال عمران، المائدة......

٢- يطلق الاسم على السورة -في بعض الاحيان- بما افتتحت به من حرف أو أكثر من حروف التهجي مثل:

سورة طه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ..﴾سورة طه١-٢

وسورة يس: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سورة يس/ ١-٢.

وسورة ق:﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ سورة ق/ ١

٣- يطلق الاسم على السورة لموضوع مهم في السورة نفسها مثل سورة ال عمران، فقد قال تعالى:

(١)الإتقان ١/ ٢١٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة ال عمران٣٣-٣٤.

وكذلك سورة التوبة التي تحدثت عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليهم.

٤- يطلق اسم السورة تبعا لمعجزة ورد ذكرها في السورة: كسورة البقرة، والمائدة....

٥- يطلق اسم السورة تبعا لنبي كريم او مؤمن عظيم، مثال ذلك سور: يونس، هود، يوسف، إبراهيم،محمد عليهم الصلاة والسلام، وكذلك سور(مريم) و(لقمان).

هل أسماء سور القرآن توقيفية؟

قال السيوطي: (وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك) [1].

كتابة اسماء السور في المصحف

قال الدكتور غانم قدوري الحمد:

(ولم تكن اسماء السور تكتب في المصحف في الحقبة الاولى من تاريخ الاسلام، فكان يترك بين السورتين فراغ قدر سطر واحد[2]، ثم صار هذا الفراغ يشغل بخطين تزين ما بينهما دوائر، أو خط متعرج كالسلسلة، أو يترك ما بينهما خاليا[3]، ثم صار الخطاطون يعتنون بزخرفة ما بين السورتين وصار يكتب في داخل تلك الزخرفة اسم السورة، وما يتصل بمكان

(١)الإتقان ١/ ١٨٦.

(٢)موريتز: مجموعته المصورة (الباليوجرافية العربية)لوحة١٧.

(٣)ينظر: صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي، شكل٤٧و٤٨و٤٩ في الصفحات ٩٢و٩٣و٩٤.

نزولها وعدد آياتها [1] وحافظ المصحف في عصر الطباعة على تلك الصورة لفواتح السور [2].

أقسام السور

١- السبع الطوال: هي البقرة ، وال عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال.

٢- المئون: وهي السور التي تزيد على مائة اية أو تقاربها، وهي تلي السبع الطوال.

٣- المثاني: وهي السور التي آياتها أقل من مائة آية. وسميت بذلك لتثنية الأخبار والقصص فيها.

وتطلق المثاني على سورة الفاتحة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ سورة الحجر/ ٨٧. والسبع المثاني سورة الفاتحة وفيها سبع آيات.

وقد يسمى القرآن كله (مثاني)، لأن فيه من الأخبار والقصص التي تثنى.

٤- المفصّل: وهي قصار السور. وسمي بذلك لكثرة الفصل بين السور.

وأول سور المفصل:

(الحجرات) او (ق) او (الصافات) او (الصف) او (القتال) او (الملك) او (الرحمن). وربما كانت سورة (ق) هي أول المفصّل. أما آخر المفصّل فهي سورة الناس.

(١)ينظر: موريتز: مجموعته الخطية لوحة١-١٢و ٣٣-٣٦.

(٢)محاضرات في علوم القران تاليف الدكتور غانم قدوري الحمد ص٨٧-٨٨. الطبعة الاولى ١٤٢٣-٢٠٠٣ دار عمار/ عمان الاردن.

والمفصل ثلاثة أقسام:

أ- طوال المفصل: وهو من (الحجرات) أو (ق) إلى (البروج).

ب- أوساط المفصل: وهو من (الطارق) إلى (البينة).

ج- قصار المفصل: وهو من سورة(الزلزلة)الى آخر القران.

ترتيب السور

اختلف العلماء في أمر ترتيب السور: فذهب بعضهم إلى أنّه توقيفي، أخذه النبيﷺ عن جبريل، وأخذه جبريل عن الله، وظلّ القرآن منذ عهد النبيﷺ إلى يوم النّاس هذا مرتب السور والآيات على هذا الترتيب.

وذهب غيرهم: إلى أنّه اجتهاد من الصحابة.

وذهب آخرون إلى أنّ قسما من سور القرآن كان ترتيبه توقيفياً، وبعض السور الأخرى باجتهاد من الصحابة.

وكل قول من هذه الأقوال له أدلته التي اعتمدها؛ لذلك قال الباقلاني: (يمكن أن يكون الرسولﷺ قد رتّب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه...)[1].

ويرى ابن تيمية أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا، بل كان مفوضا إلى اجتهادهم، مستدلا باختلاف مصاحف الصحابة[2].

أمّا ابن عطية، فيميل إلى (انّ كثيرا من السور كان قد عُلم ترتيبها في حياتهﷺ: كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصّل، وأشاروا إلى أنّ ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوّض الأمر فيه إلى الأمّة بعده)[3].

---

(١)الإتقان ١/ ٢١٥.

(٢)مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٢٣٢ حققه وخرّج أحاديثه: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٣)البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٢٥.

والدارس لهذا الموضوع يتبين له أن جمع القرآن في الصحف كان في عهد أبي بكر الصديق ﷺ وان جمعه في عهد سيدنا عثمان لم يزد على أن كان نسخاً لتلك الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر، وان المصاحف التي تداولها الناس- ولا يزالون يتداولونها كذلك- منذ ذلك العهد والى يوم الناس هذا، هي صورة طبق الاصل للصحف التي انتسخت في عهد سيدنا عثمان، والصحابة الكرام لم يختلفوا في تقديم سورة او تأخيرها، وكل ما ورد من ذلك سؤال عبد الله بن عباس لعثمان عن سبب وضع البسملة في أول سورة التوبة؟ فأجابهم: ان ذلك كان متابعة لما فعله النبي ﷺ.

يتبين لنا من هذا: أن الراجح في ترتيب سور القرآن كان توقيفيا، وأن ترتيبها ظل كما هو منذ عهد النبي ﷺ، وأنه -عليه الصلاة والسلام- كان يقرأ القرآن مرتبا هكذا، وكذلك صحابته الكرام. قال أبو بكر الأنباري:

(أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرّقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة. فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كلها عن النبي ﷺ. فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم القرآن)(١).

وقال الكرماني:

(ترتيب السور هكذا هو من عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين)(٢).

---

(١)الإتقان ١/ ٢١٧.

(٢)الإتقان ١/ ٢١٧.

وسواء كان ترتيب السور توقيفياً، أو اجتهادا من الصحابة، أو بعضها توقيفيا والبعض الآخر باجتهاد الصحابة، فإنّ ترتيب السور كما هو في المصحف واجب الإتباع، ولا يجوز لأي مسلم كان أن يرتبه على خلاف هذا الترتيب الذي انعقد الإجماع عليه، منذ عهد الصحابة حتى عصرنا الحاضر. فلا يجوز ترتيب سوره على أسباب النزول؛ لمخالفة ذلك للإجماع.

جمـــع القـــرآن

يطلق لفظ (جمع القرآن) على معنيين.
الأول: بمعنى حفظه عن ظهر قلب. وفي هذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ سورة القيامة / ١٧.
الثاني: بمعنى كتابته حروفاً وكلمات وآيات وسوراً، والقران الكريم تمت كتابته في الصدر الإسلامي الأول ثلاث مرات:
الأولى: في عهد النبيﷺ، والثانية: في عهد أبي بكر الصديق، والثالثة: في خلافة عثمان بن عفان، وسنتحدث في كل منها:

حفظ القران في الصدور

لما كانت الآيات تنزل على رسول اللهﷺ فانه يقوم بحفظها، ويقرأها و يحفظها لمن عنده من الصحابة. وهكذا حتى جمع الرسول الكريم القرآن كله في قلبه: فكان هو أول الحفاظ. وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن على جبريل في رمضان في كل عام. فلما كان العام الذي قبض فيه النبيﷺ عرضه مرتين.

أما الصحابة الكرام، فقد اهتموا بحفظ القران كل اهتمام. ويدلنا على ذلك أن عدداً ليس بالقليل من صحابة رسول الله –رضي الله عنهم– كان قد حفظ القرآن كله، بل إن المرأة المسلمة كانت ترضى أن يكون مهرها سورا من القرآن الكريم يُحفِّظُها الزوج لزوجته.

ويدلنا على كثرة حفاظ القرآن ان أربعين منهم قد استشهد في السنة الرابعة من الهجرة في حادثة(بئر معونة)[1]، وقد استشهد منهم في عهد أبي بكر (يوم اليمامة) سبعون..! وهكذا، فلم يلتحق الرسولﷺ بالرفيق الأعلى، حتى كان حفاظ للقرآن الكريم كله.

(١)بئر معونة:بئر في نجد، يبعد ١٦٠ كم عن المدينة. وقد جاء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة الى المدينة، فدعاه الرسول الى الإسلام فلم يسلم، ووعد أن يجير من يرسله لدعوة الأعراب في نجد، فأرسل الرسول وفداً من سبعين او اربعين رجلاً من المسلمين. فلما وصل بئر معونة غدر بهم عامر بن الطفيل فقتل رسولهم فصاح فزت ورب الكعبة، وأحاط بهم الأعراب من رعل وذكوان، ودافع القراء عن أنفسهم، فاستشهدوا سوى عمرو بن أمية الضمري، عاد وأخبر الرسول الخبر.

كتابة القرآن الكريم في عهد النبيﷺ

كان النبيﷺ حريصا على كتابة كل ما ينزل عليه من آيات، لذلك اتخذ عليه السلام كتاباً بلغ عددهم اثنين وأربعين كاتباً منهم الخلفاء الاربعة، ومعاوية بن ابي سفيان، وزيدبن ثابت، وابي بن كعب.. وكان عدد كتاب الوحي في المدينة اكثر من كتاب الوحي في مكة(1)، فكتب كتاب الوحي القران في العسب: (وهو جريد النخل)، واللخاف: (وهي صفائح من الحجارة) والرقاع(اي الجلد او الورق)، والأكتاف (وهو عظام الكتف في الشياه او الإبل)، والاقتاب (وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه)، والاديم (وهو الجلد المدبوغ)، وكان الصحابة يطلقون على هذه الاشياء بعد الكتابة عليها اسم (الصحف)، وكانت هذه الصحف توضع في بيت النبيﷺ. وكان من الصحابة من يكتب بعض سور القرآن لنفسه، تدلنا على ذلك قصة إسلام عمر بن الخطابؓ، اذ دخل في بيت أخته فاطمة وزوجها، وكان خباب بن الأرت يقرئهما سورة (طه) في صحيفة مكتوبة. كما يدلنا على ذلك حديث: (نهىﷺ أن يسافر بالقرآن الى ارض العدو)(2). أي يسافر بحمل صحيفة من القرآن الكريم. فلم ينتقل الرسولﷺ الى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كتب القرآن كله في السطور وحفظ في الصدور.

لماذا لم يأمر النبيﷺ بجمع القرآن في حياته؟

ذكر العلماء أسباباً لذلك، منها:

١- أراد النبي ﷺ أن يجعل الصحابة اهتمامهم بحفظه في الصدور، وترتيله والتعبد به.

---

(١)التراتيب الادارية للكتاني١/ ١١٦ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢)رواه البخاري في كتاب الجهاد (باب: كراهية السفر بالمصاحف الى ارض العدو)، ومسلم في كتاب الإمارة(باب: النهي ان يسافر بالمصحف الى ارض العدو).

٢- لم يكن هنالك داع لجمعه في مصحف واحد او مصاحف، ذلك أنّ الداعي قد وجد في عهد ابي بكر وعثمان كما سنتحدث في ذلك قريبا ان شاء الله: فقد كان حفظة القرآن كثرة كاثرة....

٣-كان جبريل عليه السلام ينزل على النبيﷺ بعد أن اكرمه الله بالرسالة، ولم ينقطع الا بوفاته صلوات ربي وسلامه عليه. فلم يأمر النبي بجمع القرآن، لان آيات كريمة اخرى قد تنزل مستقبلا.

كتابة القرآن في عهد أبي بكرؓ

قبيل أن يلتحق النبيﷺ بالرفيق الأعلى، ارتدَّت قبائل عربية كثيرة عن الإسلام، الأمر الذي جعل النبي عليه السلام يجهز جيشا لمحاربتهم، ووضع على قيادته (أسامة بن زيد)ؓ، لكن الأجل لم يمهل النبي الكريم، فلبى نداء ربه، وتولى الامر ابو بكر الصديق في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، فنفذ ما عزم عليه رسول الله من إرسال الجيش لمحاربة المرتدين ومدعي النبوات الكاذبة. وفي حرب اليمامة وحدها التي أذل الله فيها مسيلمة الكذاب وجمعه، كان قد استشهد من المسلمين (يومئذ) مائتان وألف، وقتل من حفاظ القرآن -آنذاك- سبعون. ولقد كان عمر بن الخطابؓ ذا بصيرة نافذة، فأقترح على أبي بكر أن يأمر بجمع القرآن. وبعد نقاش بينهما اقتنع ابو بكر برأي عمر، فكلف زيد بن ثابت بهذه المهمة قائلاً له:

(إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللهﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه)[1].

ويصعب الامر على زيد، اذ يشعر بعظم المهمة التي كلف بها فيقول:

(١)رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب: جمع القرآن) ٦/ ٩٨

(فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما امرني به من جمع القرآن)[1].

ولقد قام زيد ومعاونوه بهذه المهمة خير قيام: فنقلوا القرآن من تلك المفردات الى صحف من نوع واحد بمقياس واحد تحفظ بين دفتين حفاظاً له، وما كتبت آية من آيات القرآن إلا بشاهدين، ليكون أوفى في التثبت والتيقن. ولم يكتفوا بالحفظ وحده، بل كانوا يقابلون ذلك بما كتب. وقد تم جمع القرآن في عهد أبي بكرﷺ خلال سنة واحدة على وجه التقريب. ويأتي زيد الى أبي بكر فيسلمه المصحف. ويحتفظ أبو بكر بذلك المصحف طوال خلافته. وقبيل موته عهد به الى المرشح للخلافة من بعده عمر بن الخطابﷺ. وظل المصحف لدى سيدنا عمر طوال حياته، ثم سلمه الى ابنته حفصة في آخر لحظات حياته، اذ لم يكن الخليفة الثالث قد بويع بالخلافة آنذاك.

جمع القرآن الكريم في عهد عثمانﷺ

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد سيدنا عثمان بن عفانﷺ، واتسعت حركة نسخ المصاحف في الأمصار، وذهب القراء في شتى الأقطار والأمصار يعلّمون الناس القرآن. وقد أخذ كل قطر بقراءة واحد من الصحابة ممن أقام بينهم: فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة (أبيّ بن كعب)، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة (عبد الله بن مسعود)، ويقرأ أهل البصرة بقراءة (أبي موسى الأشعري). وكان بين القراء شئ من الاختلاف في وجوه القراءة وطريقة الأداء، اذ كان ذلك مرخصاً به في عهد الرسولﷺ، لكن المسلمون الجدد لم يتفهموا حقيقة هذه الرخصة على وجهها الصحيح، فحصل نزاع وشقاق بينهم، وادعى كل فريق منهم أنه

(١)رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب: جمع القرآن) ٦/ ٩٨

على الحق. وفي السنة الثانية والثالثة من خلافة سيدنا عثمان وهي سنة ٢٥ للهجرة أزمع المسلمون على فتح (أرمينية) و (أذربيجان)، فاجتمع هناك أهل الشام وأهل العراق، وكان (حذيفة بن اليمان) قائداً لأهل المدائن، فراعه ما رأى من اختلاف المسلمين في وجوه القراءة، فاستعظم ذلك، وجاء الى المدينة، ولم يدخل بيته حتى أتى أمير المؤمنين عثمان قائلا له:

(يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى...)[1].

وكان قد وقع في نفس عثمان ذلك، بعد ان اختلف بعض المسلمين مع البعض الآخر في وجوه القراءة والأداء، فاستشار الصحابة في جمع الناس على مصحف واحد، فوافقوه على ما رأى، فقام بتشكيل لجنة لجمع القرآن من أربعة من افذاذ حفظته وهم: (زيد بن ثابت)و(عبد الله بن الزبير)و(سعيد بن العاص)و(عبد الرحمن بن الحارث بن هشام). أما زيد، فهو مدني من الأنصار، وأما الثلاثة الآخرون، فهم قرشيون من أهل مكة. وطلب عثمان من أم المؤمنين حفصة إن ترسل له الصحف التي جمعت على عهد ابي بكر الصديق ففعلت. وبدأت اللجنة عملها، بعد أن رسمت لها منهجاً محدداً يتلخص فيما يأتي:

١- اعتمدت الصحف التي تم جمعها في عهد أبي بكر أساساً لنسخ المصاحف.

٢- اعتمدت لهجة قريش عند اختلاف اللجنة في كتابة شئ من القران.

٣- اعتمدت القراءة المتواترة عن النبيﷺ وتركت ما سواها.

٤- التزمت اللجنة في ترتيب الآيات ترتيب النبيﷺ في العرضة الأخيرة في السنة التي قبض فيها عليه السلام.

(١)رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب: جمع القرآن)٦/ ٩٩.

٥- بعد الانتهاء من كتابة النسخة الأولى من المصحف الإمام يقوم (زيد بن ثابت) بمراجعته ثلاث مرات، ويقابله بمصحف أبي بكر، كما يراجعه عثمان بنفسه، زيادة في الاحتياط، وذلك قبل نسخ المصاحف الأخرى.

عدد المصاحف

نسخت اللجنة مصاحف اختلف في عددها: فقيل أربعة مصاحف:احدها الى الكوفة، والثانية الى البصرة، والثالثة الى الشام، وأبقى عنده مصحفا واحداً في المدينة. وقيل هي خمسة مصاحف أربعة الى الأمصار المذكورة ، وواحد للمدينة ، وقيل هي سبعة: ستة أرسلت الى الأمصار: الكوفة والبصرة والشام ومكة واليمن والبحرين، وواحد للمدينة.

ولم يكتف سيدنا عثمان بإرسال المصاحف الى الأقاليم، بل أرسل في الأكثر الأغلب مع المصحف حافظاً: فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وكان عبد الله بن السائب مقرئ المصحف المكي، وكان المغيرة بن شهاب مقرئ المصحف الشامي، وكان أبو عبد الرحمن السلمي مقرئ المصحف الكوفي، وكان عامر بن القيس مقرئ المصحف البصري.

أما الصحف الأخرى، فقد اقترح عثمان حرقها ليقطع النزاع، فأيده الصحابة، فأمر بحرق كل ما وجد من الصحف. يقول علي بن أبي طالبعليه السلام:

(لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا)[1].

ويقول:

(١)الإتقان ١/ ٢١٠ ومناهل العرفان ١/ ٢٦٢.

(لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل)[1].

لقد كان عثمان ﷺ حكيما في حرق ما تبقى من المصاحف عند الصحابة، ذلك أن بقاءها عندهم يزيد في أسباب الاختلاف والشقاق، وبخاصة حين يبتعد عهد الناس برسول اللهﷺ.

مقارنة

وحين نقارن بين جمع القرآن في عهوده الثلاثة نلاحظ ما يأتي:

١- كان الجمع في عهد النبيﷺ يتلخص في كتابة الآيات وترتيبها، ووضعها في سورها. وظلت متفرقة في صحائف الحجارة والجلد وعظام الإبل والشياه والخشب...ويهدف هذا الجمع: التوثيق بالكتابة فوق حفظه بالصدور.

٢- يتلخص الجمع في عهد أبي بكر بنقل القرآن وكتابته في مصحف واحد بين لوحين خشية فقدان شئ منه بتلف او ضياع.

٣-كان الجمع في عهد عثمان يتلخص في استنساخ عدد من المصاحف وتعميمها على الأقطار الإسلامية، بغية جمع الأمة على لهجة قريش، حفاظا على توحيد كلمتها.

(١)-البرهان في علوم القرآن للزركشي- ١/ ٣٠٢ بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م دار الكتب العلمية ببيروت. ومناهل العرفان ١/ ٢٦٢.

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

اختلف العلماء في أول ما نزل على الرسولﷺ من آيات:

١- فذهب بعضهم الى أنّ أول الآيات نزولا هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق في قوله تعالى:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾.

ودليل هذا ما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت:

(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء.. فجاءه الملك فقال: إقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ؛ قلت: ما أنا بقارئ؛ فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال: [إقرأ باسم ربك الذي خلق...](١).

٢- ذهب آخرون الى أن أول الآيات نزولا هي قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ..﴾سورة المدثر١/ ٥

ودليل هذا ما رواه البخاري وغيره، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله: اي القرآن انزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾.فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول اللهﷺ . قال رسول اللهﷺ: جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض،

(١)رواه البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي الى الرسولﷺ ١/ ٣.

فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماءاً بارداً وانزل عليّ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1].

وقيل غير ذلك. والقول الأول هو الأصح.

اما آخر ما نزل من القرآن ففيه أقوال كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2]. سورة البقرة ٢٨١

٢- آية الربا وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ...﴾[3].سورة البقرة/ ٢٧٨-٢٨٠.

٣- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[4]. سورة البقرة ٢٨٢.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات الثلاث: بان نزول هذه الآيات كانت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف. فأية الربا، وآية(واتقوا يوماً) وآية الدين كلها وردت في قصة واحدة، وقد اخبر كل راو عما اعتقده بأنه آخر ما نزل[5].

٤- قوله تعالى:﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَـٰلَةِ ...﴾[6]. سورة النساء/ ١٧٦ . وقد حمل ذلك على أنها آخر آية تتعلق بالمواريث.

(١)رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (سورة المدثر)٦/ ٧٥.

(٢)رواه النسائي وابن أبي حاتم . انظر: تفسير الطبري ٣/ ١١٤-١١٥ الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي/ مصر.

(٣)رواه البخاري في كتاب التفسير(باب: واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله)

(٤)انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي٢/ ١١٧. الطبعة الاولى١٤٠٣-١٩٨٣. دار الفكر بيروت.

(٥)انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٦٨.

(٦)رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (باب: يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)

٥- قيل: آخر ما نزل سورة المائدة [1].أي آخر سورة في الحلال والحرام.

٦- وقيل آخر ما نزل سورة (النصر)[2]....

وهذه الأقوال كلها محتملة، وقد ذكرت من الرواة على سبيل غالبية الظن، اذ ربما كل من قال قولاً كان قد سمعه من النبيﷺ قبيل مرضه الذي توفي فيه بقليل، مع أن غيره قد سمع منه غير ذلك، لنزول الوحي عليه بقرآن فيما بعد.

وأرجح الأقوال: أن آخر الآيات نزولا قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [3].

فوائد معرفة أول الآيات نزولا وآخرها

هناك فوائد في معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل، منها:

١- قضية التدرج بالأحكام والناسخ والمنسوخ. فإذا وردت آيتان في موضوع واحد، ويغاير حكم كل منهما الحكم الآخر، ولا يمكن التوفيق بين الآيتين بأية طريقة كانت...عند ذلك تكون الآية المتأخرة ناسخة للآية المتقدمة.

٢- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، والوصول الى حكمة الإسلام في سياسة الناس.

(١)الدر المنثور في التفسير المأثور٣/ ٣.

(٢)رواه مسلم في كتاب التفسير/ حديث٣٠٢٤ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي٤/ ٢٣١٨.

(٣)لزيادة الاطلاع انظر: مناهل العرفان ١/ ٩٦-١٠٠

المكي والمدني

اهتم المسلمون اهتماما بالغا بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم. ومن جملة ما اهتموا به من علوم القرآن: هو جانب المكي والمدني. وينظر الناس في سنة رسول الله ﷺ فلم يجدوا شيئاً ورد عنه عليه السلام في بيان المكي والمدني، ذلك أن الرسول الكريم لم يؤمر بتبليغه أولاً، ولان الله سبحانه لم يجعل معرفة ذلك فرضا من فرائض الإسلام... اما الصحابة الكرام، فلم يسألوا عنه، لأنهم عايشوا نزول القرآن، فوقفوا على ما سمي بأسباب النزول. فلا بد لنا أن نرجع الى الصحابة: أولئك الذين عايشوا نزول القرآن لمعرفة المكي والمدني. فهذا الصحابي الجليل (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه يقول:

(والله الذي لا اله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلاّ وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت)[1].

وظلت آيات القرآن تنزل على النبي ﷺ فيما يقرب من ثلاث وعشرين سنة، فكانت مدة العهد المكي ١٢ سنة و٥ أشهر و١٣ يوما. وأما مدة العهد المدني فهي ٩ سنين و٩ أشهر و٩ أيام [2].وأما مجموع سور القرآن فهو ١١٤ سورة.

فما نزل من القرآن قبل الهجرة يسمى مكياً، وما نزل بعد الهجرة يسمى مدنياً سواء نزل بمكة ام في المدينة، وسواء نزل عام الفتح اوعام حجة الوداع، وسواء نزل في سفر او في حضر: فالزمان هو أساس هذا التعريف. فقوله تعالى:

---

(١)مناهل العرفان١/ ١٩٦

(٢)علوم القرآن للأستاذ احمد عادل كمال ص٨٣. الطبعة الثانية ١٣٨٦-١٩٦٧ مطابع دار لبنان/ بيروت.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ سورة المائدة/ ٣
قد نزل عشية عرفة في عرفات يوم الجمعة، عام حجة الوداع. ومع ذلك فقد اعتبرت هذه الآية على الأرجح مدنية.

ضوابط السور المكية

١- كل سورة فيها سجدة.

٢- كل سورة فيها لفظ (كلا). وقد تكرر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة، كلها في النصف الأخير من القرآن.

٣- اذا ورد في السورة لفظ(يا بني آدم).

٤- كل سورة ورد فيها (يا أيها الناس)، وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية الا ما كان في أواخر سورة الحج فمختلف فيها وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ...﴾ سورة الحج/ ٧٧.

٥- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية ما عدا سورة البقرة.

٦- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية إلا سورة البقرة.

٧- كل سورة مفتتحة بالحروف المقطعة مثل: (الم، حم، كهيعص) ونحو ذلك فهي مكية سوى سورتي البقرة وال عمران، واختلفوا في سورة الرعد.

ضوابط السور المدنية

١- السور التي ورد فيها تفاصيل لأحكام الحدود والفرائض وأحكام الأحوال الشخصية.

٢- السور التي ورد فيها مجادلة أهل الكتاب، ودعوتهم الى عدم الغلو في دينهم .

٣- السور التي ورد فيها ذكر المنافقين سوى ما ورد في سورة (العنكبوت) فانها مكية.

٤- السور التي ورد فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكامه.

وضوابط المكي والمدني جاءت على سبيل الرجحان لا التحديد القاطع.

فوائد معرفة المكي والمدني

لمعرفة الآيات المكية والمدنية فوائد منها:

أولا: الاستعانة بذلك في تفسير القرآن الكريم.

ثانياً: معرفة الناسخ والمنسوخ، فتنسخ الآيات المدنية الآيات المكية عند تعارض المعنى في آيتين، وتعذر الجمع والتوفيق بينهما بأية طريقة كانت.

ثالثاً: الإفادة في معرفة الآيات المكية والمدنية في أسلوب الدعوة الى الله، اذ لكل مرحلة من مراحل الدعوة أساليبها.

رابعاً: الوقوف على السيرة النبوية من خلال معرفة الآيات المكية والمدنية.

خامساً: معرفة تاريخ التشريع.

سادساً: معرفة التدرج بالأحكام.

عدد السور المكية والمدنية

السور التي نزلت بالمدينة عشرون هي:

١-البقرة ٢-آل عمران ٣-النساء ٤-المائدة ٥-الأنفال ٦-التوبة ٧-النور ٨-الأحزاب ٩-محمد ١٠-الفتح ١١-الحجرات ١٢-الحديد

١٣-المجادلة ١٤-الحشر ١٥-الممتحنة ١٦-الجمعة ١٧-المنافقون ١٨-الطلاق ١٩-التحريم- ٢٠-النصر.

وهناك اثنتا عشرة سورة اختلف فيها: فعدها بعضهم مكية، وعدها البعض الآخر مدنية وهذه السور هي:

١-الفاتحة ٢- الرعد ٣-الرحمن ٤-الصف ٥-التغابن ٦-التطفيف ٧-القدر ٨-البينة ٩-الزلزلة ١٠-الإخلاص ١١-الفلق ١٢-الناس.

وما سوى ذلك فهي مكية وعددها اثنان وثمانون سورة.

وعندما نصف هذه السورة او تلك بأنها مكية، فإن هذا لا يعني أن جميعها نزل قبل الهجرة، فقد يكون بعض آياتها نزل بالمدينة: فقد جاء الوصف على غالب آياتها. ومن أمثلة ذلك: سورة الأنعام، فإنها مكية إلا آيات ثلاث نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال/ ٦٤ فقالوا: إنها مكية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف

مقدمة

دعا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه المسلمين الى القرآن حفظاً وتلاوة، ونص في أحاديث صحيحة على أن تلاوة القرآن قربة من أفضل القربات الى الله، لذلك سارع المسلمون الى حفظه وتلاوته. وبعد أن هاجر المسلمون الى المدينة، ودخل عدد من القبائل العربية في دين الله، صار بعض الناس من هذه القبيلة او تلك، يصعب عليه النطق نطقاً مطابقاً كل المطابقة لما كان ينطق به النبيﷺ، اذ اعتادت ألسنتهم ان تنطق بلهجات قبائلهم التي نشأوا فيها، فكان أمر تحويل ألسنتهم الى نطق آخر ليس بالأمر اليسير. يقول ابن قتيبة:

(ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفاً في الحركات...)[1].

الأحرف السبعة

ورد الحرف في اللغة بمعنى الوجه او الطريق. وأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وردت بأسانيد صحيحة عن أربعة وعشرين صحابياً من أجلّ الصحابة. ولكن أختلف في المراد بهذه الأحرف على خمسة

(١)تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٣٩-٤٠ شرحه ونشره السيد أحمد صقر. الطبعة الثانية ١٣٩٣-١٩٧٣/ دار التراث. القاهرة.

وثلاثين قولاً[1] وقيل: على أربعين قولاً[2]: فقيل المراد بالأحرف السبعة سبع لغات لسبع قبائل من العرب، وقيل: المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو: أقبل،وهلمّ،وتعال... وقيل: سبعة أصناف من الكلام، وكل صنف يختلف عن غيره: فبعضها أمر ونهي، ووعد ووعيد، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه...الخ، وقيل: لا يراد بالسبعة حقيقة العدد، وقد ذكر (العدد) هنا على سبيل الكثرة لا الحصر، والمراد: التسهيل والتيسير، وقيل غير ذلك...

وسبب هذا الاختلاف تلك الروايات التي يشوبها الغموض والإبهام: فلم تبين لنا تلك الروايات بوضوح نص الآيات التي اختلف في قراءتها، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات: اهو خلاف صوتي يعزى الى تباين اللهجات أم هو شئ آخر؟

وهكذا تكون الآيات التي أختلف في قراءتها مجهولة، وكذلك نوع الخلاف. وها نحن ندخل في الموضوع مستعينين بالله وحده، فنقول وبالله التوفيق:

معنى الأحرف السبعة

روى الإمامان البخاري ومسلم أن النبيﷺ قال:

(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤوا ما تيسر منه)[3]

(١)البرهان ١/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ١/ ٤٢. الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية/ دار الكتاب العربي١٣٨٧-١٩٦٧.

(٢)الإتقان ١/ ١٦٤.

(٣)رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن(باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦/ ١٠٠، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب: بيان إن القرآن على سبعة أحرف١/ ٥٦٠.

وأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف، رواها أربعة وعشرون صحابياً. بيد أن النبيﷺ، لم يبين لنا المراد بالأحرف السبعة؛ لذلك أختلف العلماء بالمراد بها، حتى أوصلها بعضهم الى خمسة وثلاثين قولاً[1]، وأوصلها آخرون الى أربعين قولاً[2].وأكثر هذه الآراء لا يؤيدها نقل صحيح. وسنجمل ما قاله العلماء في الأحرف السبعة في اتجاهين، جاعلين تحت كل اتجاه أهم ما يندرج تحته من آراء.

الاتجاه الأول: أن المراد (بالأحرف السبعة) حقيقة العدد، إذ لا يعقل ان يكون العدد غير مقصود بقضية ذات صلة بالوحي وطريقة نزوله. ويبعد في هذا الأمر وأمثاله، أن يذكر الرسولﷺ عدداً لا مفهوم له.. لكنهم اختلفوا في المراد بتلك الأحرف السبعة وأهمها ما يأتي:

١- المراد بها سبع لغات(لهجات) من لغات العرب المتسمة بعذوبة اللفظ وهي لغات: قريش، وهذيل، وتيم، والازد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر، وهذه اللغات (اللهجات) متفرقة في القرآن كله. والى هذا ذهب (أبو عبيد القاسم بن سلام) المتوفى سنة ٢٢٤هـ وتبعه فيه (أبو حاتم سهيل بن محمد السجستاني) المتوفى سنة ٢٥٥ -على خلاف في ذلك- وأبو (منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة٣٧٠هـ. وصحح هذا القول (البيهقي)، واختاره (عبد الحق بن عطية الغرناطي) المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

وليس مراد أصحاب هذا القول أن كل كلمة في القرآن تقرأ بهذه اللهجات كلها، بل مرادهم: أن نزول القرآن لا يخرج عن هذه السبعة اللهجات، اذ الكلمة القرآنية: إما أن تكون بلغة قريش- وكثيراً ما تكون

(١)البرهان للزركشي١/ ٢٧١.

(٢)الإتقان للسيوطي١/ ١٦٤.

كذلك- او بلغة قبيلة من القبائل المذكورة، اذ ان تلك الكلمات في تلك اللهجات، قد تكون أعذب مما في لغة قريش.

ولقد اعترض(ابن قتيبة) وغيره على ذلك التفسير، وقالوا: لم ينزل القرآن الا بلغة قريش، مستدلين بقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ سورة إبراهيم/ ٤

وقالوا: إن لغات العرب أكثر من سبعة، وليس لدينا ما يرجح لغة على لغة، فيكون تفسير سبعة الأحرف بسبع لغات تحكما بلا دليل.. كما أستبعد (ابن عبد البر) هو كذلك أن يراد بالسبعة الأحرف سبع لغات (لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر، لأن ذلك من لغته التي طبع عليها. وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي، وقد اختلفت قراءتها، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته)[1].

٢- المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو: أقبل وهلم وتعال، وعجل وأسرع، وانظر وأخر وأمهل...وقد ذهب الى هذا-كما قالوا- (سفيان بن عيينة) المتوفى سنة١٩٨ هـ و (عبد الله بن وهب) المتوفى سنة ١٩٧هـ و (ابن جرير الطبري) المتوفى سنة ٣١٠هـ و (أبو جعفر الطحاوي) المتوفى سنة ٣٢١هـ.

قال أبو جعفر الطبري:

(الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن من لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني كقول القائل: هلم، واقبل، وتعال، والَيّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني وإن اختلفت

(١)البرهان في علوم القرآن١/ ٢٧٨.

بالبيان به الألسن كالذي روينا آنفاً عن رسول الله ﷺ، ومن روينا ذلك عنه من الصحابة، وإن ذلك بمنزلة قولك: هلم، وتعال، وأقبل، وقوله: ما ينظرون إلا [زقية]، وإلا [صيحة][1].

ويروي الإمام الطبري أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع لغات في الكلمة الواحدة، وإن كل ما يقرؤه الناس الآن هو حرف واحد من الأحرف السبعة، وأما الأحرف الباقية، فقد تركت وكأنها كانت رخصة مؤقتة[2].

ونقرأ ما نقل عن الصحابة في قراءاتهم التي بدلت فيها كلمة بأخرى ترادفها، فنجد أن تلك الأمثلة قليلة (ولم تنقل لنا كلمة واحدة في القرآن قرئت بسبعة وجوه، كل وجه يغاير الآخر في النطق ويوافقه في المعنى)[3].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه(فضائل القرآن):

(وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شئ غير موجود)[4].

وقال ابن قتيبة:

(ولا نعرف في القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه)[5].

وقال ابن عبد البر:

(وهذا مجتمع عليه أن القرآن لا يجوز في حروفه وكلماته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف، ولا شئ منها، ولا يمكن ذلك فيها، بل لا يجوز

(١)تفسير الطبري١/ ٢٥.

(٢)تفسير الطبري١/ ٢٨

(٣)محاضرات في علوم القرآن للأستاذ غانم قدوري الحمد ص١١٨. الطبعة الأولى ١٤٠١-١٩٨١/ دار الكتاب للطباعة-بغداد.

(٤)محاضرات في علوم القرآن ص١١٨.

(٥)تأويل مشكل القرآن ص٢٧٨.

في القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل مثل: [وعبد الطاغوت]و[تشابه علينا]...)[1]

٣- المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من القراءات المتفرقة في القرآن، بيد أنها لا تتوارد على الكلمة الواحدة، وقد ذهب الى هذا (ابن قتيبة) فهو يقول:

(وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله تعالى:﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ وأطهَرَ لكم. ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ وهل يجازى إلا الكفور.

والوجه الثاني: أن يكون الإختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى:﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ وربنا باعَدَ بين أسفارنَا ...الخ.

والوجه الثالث: أن يكون الإختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ وننشرها.

والوجه الرابع: أن يكون الإختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾وإلا زقية. و ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ و كالصوف.

والوجه الخامس: أن يكون الإختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى:(وطلعٍ منضود) في موضع﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾.

(١)المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي ص١٠.

والوجه السادس: أن يكون الإختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ وجاءت سكرة الحق بالموت.

والوجه السابع:أن يكون الإختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى:﴿وما عملت أيديهم﴾ وما عملته أيديهم[1].

وهكذا نرى (ابن قتيبة) يشير إلى إباحة الرسولﷺ القراءة على سبعة أحرف.

الاتجاه الثاني

ليس المراد بالسبعة أحرف الحصر، بل المراد التيسير، والعرب تطلق لفظ (السبع) على إرادة الكثرة في الآحاد ، ويطلقون لفظ (السبعين) على الكثرة في العشرات من غير إرادة المعنى المعين، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ سورة التوبة/ ٨٠ وهكذا الأمر في لفظ (السبعمائة)الذي يراد به المبالغة والكثرة لا الحصر.

القول الراجح

والذي نراه راجحاً: ان المراد بالأحرف السبعة هو اختلاف اللهجات، فقد نزل القرآن بعدد من لهجات العرب- وإن كانت لهجة قريش هي السائدة فيه- وكانت لهجة قريش تمثل القمة في الفصاحة، فكانت هي اللغة السائدة في المواسم والأسواق، وقد اتخذ علية القوم من غير القرشيين لغة قريش لغة لهم في شعرهم وخطابتهم وبيانهم. فلم ينزل القرآن بلهجة قريش وحدها، إذ لو حصل ذلك لكان (القرآن) وقفاً على

(١)تأويل مشكل القرآن ص٣٦-٣٩ بتصرف قليل واختصار.

الذين يجيدون هذه اللغة دون سواهم. والذي يجعلنا نجنح إلى هذا الترجيح: أن عددا من الصحابة قد اختاروا من القراءات التي سمعوها من رسول الله ﷺ ما يوافق لهجاتهم . فليس لاحد أن يقرأ القرآن بلغته كما يشاء ويهوى، إذ لو حصل ذلك لرأينا في القراءات العيوب الكثيرة في بعض لهجات العرب التي نقدها الفصحاء والبلغاء مثل الكشكشة في ربيعة ومضر[1]، والعنعنة في لغة قيس وتميم[2]

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فيتوسع في ترجيحه فيقول:

(... فالذي نرجحه في معنى الأحرف السبعة ما يشمل اختلاف اللهجات، وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن، وتفاوت التعليم، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى المراد)[3].

ويدلل على ما يقول بأن الحروف السبعة التي أجيزت قراءة القرآن بها لم تكن مقصورة على اللهجات العربية وحدها، بل تشمل لهجات المسلمين في بقاع الأرض كلها عند الضرورة.. فإن الله ﷻ أرسل محمداً ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، فلم يبعثه إلى العرب وحدهم، ولا الى أقوام دون سواهم. وإذا علمنا أن من سمات هذا الدين اليسر ورفع الحرج، أدركنا أن إنزال القرآن على سبعة أحرف كان لرفع المشقة عن الناس: ذلك أن لغات العرب حين نزول القرآن كانت متباينة، وقد نزل أكثر القرآن بلهجة قريش، وقراءته بهذه اللهجة لا تتيسر- في بعض الحالات- للقبائل من غير قريش بسهولة. فكان من رحمة الله بالمسلمين الأوائل عدم تكليفهم فوق ما يطيقون، فسمح النبي ﷺ لكل قبيلة أن تقرأ القرآن بلغتها

(١)كانت هاتان القبيلتان تجعلان بعد كل كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون: رأيتكش وعليكش.

(٢)العنعنة: يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون في أن وأنّ : عن وعنّ

(٣)تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ص٤٢/ دار القلم / القاهرة ١٩٦٦.

التي الفتها من حيث اللهجة، اوالالفاظ، او الاعراب اذا لم تستطع ان تقرأها بلهجة قريش . يقول ابن قتيبة:

(ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً- لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات...)(1).

فهذا الهندي الذي يقرأ القرآن، وتختلف نبرات صوته في نطقه، لا يجوز لنا أن ننكر عليه قراءته، إذ قد بذل جهده في هذا المجال، فهو لا يقدر على أكثر من ذلك.

على أننا مع ذلك لا نعتبر قراءة الهندي أو غيره أنموذجا يحتذى، بل سمح له أن يقرأ القرآن بلهجته تلك، للتيسير ورفع الحرج ليس إلا.

ومع هذا، فإن تلك الحاجة التي دعت إلى قراءة القرآن بالأحرف السبعة قد زالت في كثير من الحالات. فإذا قدر المسلم أن ينطق بالقرآن نطقاً قرشياً، فلا ينبغي له أن يعدل عن لغة قريش إلى غيرها من اللغات.

قال أبو جعفر الطحاوي:

(إن تلك السبعة ألأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، وعاد ما يقرأ به القرآن إلى حرف واحد)(2).

ولا غرابة فيما ذهب إليه الإمام أبو جعفر الطحاوي، فإن التركي في عصرنا هذا عندما يقرأ سورة الفاتحة لا يستطيع أن يلفظ حرفي(الحاء) و(العين) كما يلفظها العربي، بل يجعل حرف الهاء مكان الحاء، والألف مكان العين، فيلفظ قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾هكذا: الهمد لله رب الآلمين.

---

(1)تأويل مشكل القرآن٣٩-٤٠

(2)المرشد الوجيز لأبي شامة المقدسي ص١٠٦.

الرخصة بين التلاوة والكتابة

ولا بد لنا أن نشير هنا إلى أنّ هذه الرخصة قاصرة على التلاوة فقط، ولم تشمل كتابة النص القرآني: فقد كان كتاب الوحي يكتبون ما يملي عليهم النبيﷺ بلهجة قريش، ويكتبونه كما هو. فلم تكن الكتابة كالقراءة على سبعة أحرف. وقد تمت كتابة القرآن في مكة بيد كتاب قرشيين، وفي المدينة بيد بعض من الأنصار، ولم يكن هناك فروق تذكر بين كتابة مكة والمدينة.

وينص ابن جرير الطبري في تفسيره على أن المصحف العثماني ما كتب إلا على حرف واحد فيقول:

(فحملهم- يعني عثمان بن عفان-... على مصحف واحد وحرف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه، ان يحرقه، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية... فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية)[1]. ويقول (ابن قيم الجوزية) وهو يعرض سياسة الإسلام في بعض النواحي:

(ومن ذلك: جمع عثمانه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول اللهﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة. فلما خاف الصحابة -رضي الله عنهم- على الأمة أن يختلفوا في القرآن، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الإختلاف: فعلوا ذلك، ومنعوا الناس من القراءة بغيره. وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت،

(١)تفسير الطبري١/ ٢٨

ويطمع فيهم العدو، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق: جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود، وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة)[1]

وهكذا كانت كتابة المصاحف بعيدة عن أي أثر كان من آثار رخصة الأحرف السبعة. لذلك ترك الناس كل قراءة مخالفة لتلك المصاحف التي عممت في الأمصار في زمن سيدنا عثمان.

بين القراءات السبع والأحرف السبعة

تختلف القراءات السبع عن الأحرف السبعة. يقول أبو شامة المقدسي:

(ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي اريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل)[2].

ويدلنا على صحة ما ذهب إليه أبو شامة ما يأتي:

١- إن الأحرف السبعة أعم من القراءات السبعة المنسوبة إلى الأئمة السبعة القراء، وان القراءات أخص من تلك الأحرف السبعة، ذلك أن الوجوه التي أنزل الله عليها قرآنه تشمل كل وجه قرأ به النبيﷺ، وذلك يشمل القراءات السبع وغيرها.

٢- عندما تحدث الرسولﷺ بأن القرآن انزل على سبعة أحرف، لم يكن هؤلاء القراء قد خلقوا بعد. فهل يعقل أن الرسولﷺ لم يفرض القراءة

(١)الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ص١٨-١٩ بتحقيق محمد حامد الفقي/ مطبعة السنة المحمدية- القاهرة ١٣٧٢-١٩٥٣.

(٢)الإتقان١/ ٢٤٧

على الأحرف السبعة إلا بعد أن يولد هؤلاء القراء ويختاروا القراءة بها، والبون بين العهدين بضعة قرون؟

كما يستلزم القول بذلك: أن يظل حديث رسول الله ﷺ عاريا عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء القراء، وتؤخذ القراءة عنهم!

فليس المراد بالأحرف السبعة قراءات معينة تنسب إلى قراء معينين، بل هي تشير إلى الرخصة والتيسير في القراءة. أما القراءات السبع ، فلم تعرف على الشكل المعروف إلا في رأس المائة الرابعة من الهجرة، وذلك حين اختار الإمام (أبو بكر أحمد بن موسى بن عباس) المشهور بابن مجاهد المتوفى سنة٣٢٤ هـ قراء سبعة من أئمة القراء، ووضع في قراءاتهم كتابه المشهور باسم (كتاب السبعة).

هل أحسن ابن مجاهد في جمعه القراءات السبع

يقول الدكتور صبحي الصالح:

(ويقع أكبر قسط من اللوم في هذا الإيهام على عاتق الإمام الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس المشهور (بابن مجاهد) الذي قام على رأس الثلاث مئة للهجرة في بغداد، بجمع سبع قراءات لسبعة من أئمة الحرمين، والعراقين، والشام اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة. وجاء جمعه محض مصادفة واتفاق، اذ كان في أئمة القراء من هو أجل منهم قدرا، وكان عددهم لا يستهان به. فإذا أبو العباس بن عمار يلوم ابن مجاهد، ويقسو عليه في تعبيره فيقول: {لقد فعل مسبع هذه السبعة مالا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته اذ اقتصر نقص عن السبعة او زاد، ليزيل الشبهة}[1].

(١)مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص٢٤٧-٢٤٨

لهجة قريش والقراءات

قبيل أن يكرم الله الرسول ﷺ بالرسالة، كانت لهجة قريش قد بسطت سيادتها على اللهجات العربية الأخرى، بعد أن احتكت بها فأخذت منها ما كانت بحاجة إلى أخذه، فصارت لهجة قريش هي اللهجة النموذجية التي اشتملت على كثير من محاسن اللهجات الأخرى. وكانت هذه اللهجة مألوفة معروفة لدى القبائل العربية، لان تلك القبائل كانت تأتي كل عام إلى مكة لأداء الحج، فتحتك بقبيلة قريش فصارت (لهجة قريش) افصح لهجات العرب، وأغناها واعذبها وارقها[1]. وهكذا نزل أكثر القرآن بهذه اللهجة ليكون معجزاً للعرب كلها.

لم تعددت القراءات؟

قد يقول قائل: إذا كانت قريش لهجة مألوفة معروفة للقبائل العربية كافة، فلم تعددت القراءات؟

والجواب: أن فهم اللغة شيء، والقدرة على النطق بها شئ آخر. فاذا كانت بعض القبائل العربية تفهم لغة قريش فهما صحيحا كاملاً كما ينبغي، فقد يصعب عليها –في بعض الأحيان- أن تنطق بها، وكيف تستطيع ذلك، وقد ورثت النطق بلهجة قبيلتها على شكل مخصوص جيلا بعد جيل، حتى صارت هذه اللهجة او تلك جزءاً من كيان بعض القبائل العربية.

(١)لزيادة الاطلاع ينظر: الصاحبي في اللغة لاحمد بن فارس ص٥٢ طبعة بيروت سنة١٩٦٣، وكتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١/ ٢٢١ بتحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم وزميليه، طبعة القاهرة ١٩٥٨.

كيف نشأ علم القراءات؟

تؤخذ قراءة القرآن عن طريق التلقي ثقة عن ثقة الى النبيﷺ. فلم يعتمد في ترتيل القرآن على ما في المصاحف، ذلك أن المصاحف في العصر الإسلامي الأول لم تكن منقوطة ولا مشكولة، وان صورة الكلمة الواحدة قد تحتمل أكثر من قراءة واحدة، لذلك كان القرآن الكريم يؤخذ عن طريق التلقي والرواية. وقد فهم المسلمون من التيسير في القراءة أن القراءة تباح لهم حسب الوسع. فالصحابي لم يقرأ قراءة مخالفة للقراءة الأساسية إلا لأسباب خاصة اقتضت ذلك التيسير. وياتي الرواة، ويروون قراءته كما سمعوها منه، من غير أن يبحثوا في الأسباب التي دعت إلى القراءة بها.

أعداد القراءات

المشتهر من القراءات المتواترة سبع، وهناك القراءات العشر، والقراءات الأربع عشر. والقراءات السبع التي تنسب إلى الأئمة السبعة المعروفين وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي.

وأما القراءات العشر فيضاف إلى هؤلاء الأئمة: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف.

وأما القراءات الأربع عشرة فتكون بزيادة قراءات أربع على قراءات هؤلاء العشر وهم: قراءة الحسن البصري، وابن محيصن، ويحيى اليزيدي والأعمش.

وكما أن القراءات السبع متواترة، فإن القراءات العشر متواترة أيضاً على ما ذهب إليه بعض المحققين من الأصوليين والقراء.

تدوين القراءات السبع

ولكن هل القراءات السبع هي أول القراءات تدويناً؟

والجواب عن ذلك: أنها لم تكن أول القراءات تدويناً، فقد سبقتها في التدوين قراءات وقراءات، وكان من أئمة القراء من هو أعظم شأناً وأجلُ قدراً من القراء السبعة. ومن هؤلاء الذين نقلت عنهم قراءات ودوِّنت: (أبو عبيد القاسم بن سلام). و(أبو حاتم السجستاني) و(أبو جعفر الطبري) و(إسماعيل القاضي). وقراءة هؤلاء كانت أضعاف قراءة السبعة. وقد اعترف علماء القراءات أن قراءات كثيرة كانت تقرأ في العصور الإسلامية الأولى ثم أهمل شأنها، وهي غير القراءات التي رويت لنا في كتب القراءات فلم يدون علماء القراءات إلا المشهور الشائع.

شروط القراءة الصحيحة

هذه ضوابط وضعها العلماء للقراءة الصحيحة:

١- التواتر: وهو أن ينقل القراءة جمع عن جمع يحيل العقل عادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه. وهذا شرط أساسي لصحة القراءة.

٢- أن تكون موافقة للغة العرب: فلا تصح القراءة التي تختلف مع تلك القواعد.

٣- أن تكون القراءة مروية عن واحد من الصحابة أو أكثر، وأن تكون صحيحة الإسناد، فلا تثبت عن طريق الرأي والإجتهاد.

٤- أن تكون موافقة لخط المصحف الذي تمت كتابته في زمن عثمان رضي الله عنه.

هذه هي الشروط المعتمدة في صحة القراءة، فإذا اختل شرط منها، صارت القراءة شاذة أو غير مقبولة، فلا تجوز القراءة بها.

القراء السبعة

١- عبد الله بن كثير المكي المتوفى بمكة عام ١٢٠هـ.

٢- نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم المتوفى بالمدينة عام١٦٩هـ.

٣- عبد الله بن عامر الدمشقي المتوفى بدمشق عام١١٨هـ.

٤- أبو عمرو بن العلاء البصري المتوفى بالكوفة عام ١٥٤ هـ.

٥- عاصم بن ابي النجود الكوفي المتوفى بالكوفة سنة ١٢٧هـ.

٦- حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الكوفي المتوفى بحلوان عام ١٥٦هـ.

٧- الكسائي علي بن حمزة الأسدي المتوفى عام ١٨٩. وقد الحق بالقراء السبعة في زمن المأمون العباسي الحاقاً، وإنما كان السابع يعقوب الحضرمي كما قيل.

بقية العشرة

٨- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المتوفى سنة١٣٠هـ.

٩- يعقوب بن اسحق الحضرمي المتوفى سنة ٢٠٥هـ.

١٠- خلف بن هشام البزار المتوفى سنة٢٢٩هـ.

بقية الأربع عشرة

١١- ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن السهمي المتوفى سنة١٢٣هـ.

١٢- يحيى بن المبارك اليزيدي المتوفى سنة٢٠٢ هـ.

١٣- الحسن البصري المتوفى سنة١١٠هـ.

١٤- سليمان بن مهران الاعمش المتوفى سنة ١٤٨هـ.

قراءة حفص عن عاصم

القراءة المتواترة التي فاقت القراءات كلها: هي قراءة(حفص عن عاصم الكوفي). وهذه القراءة هي التي ضبطت عليها المصاحف المطبوعة في بلادنا وفي كثير من بلدان المسلمين. وقد انتهت إلى عاصم رئاسة الإقراء بالكوفة بعد(ابي عبد الرحمن السلمي) الذي أرسله عثمان بن عفان مع مصحفه إلى الكوفة. وقد أخذ عاصم القراءة عن جماعة من علماء التابعين منهم: (زر بن حبيش) و(أبو عبد الرحمن السلمي) و(أبو عمرو سعد بن اياس الشيباني).

أما زر بن حبيش، فقد قرأ على عبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم.

وأما ابو عبد الرحمن السلمي، فقد أخذ القراءة عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب. وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبيٍّ بن كعب رضي الله عنهم.

وأما أبو عمرو سعد الشيباني، فقد قرأ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. فأنت ترى أن قراءة عاصم مرجعها خمسة من كبار علماء الصحابة بالقراءة. إن هذا الأمر هو الذي جعل (مكي بن أبي طالب) يقول في قراءة عاصم: (فقراءته مختارة عند من رأيت من الشيوخ، مقدمة على غيرها، لفصاحة عاصم، ولصحة سندها، وثقة ناقلها)[1].

وقراءة (حفص عن عاصم) يُقرأ بها الآن في الشرق الإسلامي: من العراق والشام، وغالب البلاد المصرية، وجزيرة العرب، والهند، وباكستان، وتركيا، والأفغان.

(١)محاضرات في علوم القران للأستاذ غانم قدوري الحمد ص ١٨٥

المستشرقون والقراءات القرآنية

إذا كان للمستشرقين جهود طيبة في إبراز شئ من تراثنا الإسلامي، فإن جهودهم التي عملت على هدم هذا التراث والنيل منه أكثر وأكثر. ويدلنا على هذا كتاباتهم الكثيرة التي افتروا فيها على ديننا وتراثنا، ومن ذلك: زعمهم أن الإختلاف في القراءات القرآنية كان عن هوى من القراء، لا عن دراية وتوثيق. يقول المستشرق المجري(جولد تسيهر) ١٨٥٠-١٩٢١:

(والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي: فإن من خصائصه: أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات، فيما أهمل نقطه أو شكله من القران)[١].

وفي مثل هذه المعاني يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان ١٨٦٨-١٩٥٦: (حقاً فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال مجالاً لبعض الإختلاف في القراءة، لا سيَّما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مشتملة على رسوم الحركات، فاشتغل القراء، على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافاتها)[٢].

(١)مذاهب التفسير الإسلامي تأليف اجنتس جولد تسهير ص٤. نقله الى العربية علي حسن عبد القادر. الطبعة الأولى١٣٦٣-١٩٤٤. مطبعة العلوم.

(٢)تاريخ الأدب العربي تأليف كارل بروكلمان١/ ١٤٠ ترجمه عبد الحليم النجار. الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر.

وهناك كثير من المستشرقين نهجوا هذا النهج في تفسيرهم للقراءات القرآنية، من هؤلاء المستشرق الفرنسي بلا شير ١٩٠٠ -١٩٧٣ [(١)]. والمستشرق الأمريكي آرثر جفري[(٢)].

وهذا اللون من كتابة المستشرقين ليس بغريب، فإن أكثرهم من موظفي المؤسسات الصهيونية، أو التنصيرية، أو الدوائر الإستعمارية، أو من رجال الكهنوت في اوروبا، وقد قام كثير منهم -إن لم نقل كلهم- بدور خطير في مجال التنصير، بل إن المنصرين استفادوا من كتاباتهم في مجال عملهم التخريبي.

على اننا حتى لو أحسنا الظن بهؤلاء الذين كتبوا في القراءات القرانية نقول: إن الذي جعلهم يصلون الى هذه النتيجة (الواغلة بالخطأ إلى الأذقان): هو جهلهم بطريقة تلقي المسلمين للقران الكريم، ذلك أن الصحابة تلقوا القرآن مشافهة عن النبيﷺ: فكانوا يسمعون القرآن منه كلمة كلمة وحرفا حرفا وحركة حركة، وكان من الصحابة عدد ليس بالقليل ممن حفظ القران كله عن ظهر قلب، وجاء التابعون فتلقوا القران عن الصحابة مشافهة أيضاً ثقة عن ثقة. وهكذا اعتمد المسلمون على الحفظ في الصدور، لا على القراءة في السطور. فلم تكن العبرة بالخط. ولو كان الأمر كذلك، لاعتمدت قراءات يسمح الخط بها.

ومن هذا يتضح أن القراءات كانت موجودة قبل ظهور النقط والحركات، ذلك أن بعضاً من القبائل العربية عجزت أن تلفظ بعض الحروف والكلمات بلهجة قريش، فجعل الله لهم متسعاً في هذا الأمر، فجاءت الرخصة بالقراءات. فلم يدون القراء قراءاتهم حسب هواهم كما يزعم هؤلاء، بل كانوا متبعين لما نقل اليهم بروايات صحيحة.

(١)القرآن تأليف بلا شير. ترجمة رضا سعادة. دار الكتاب اللبناني. الطبعة الأولى ١٩٧٤ بيروت.

(٢)المصاحف تأليف ابي بكر عبد الله بن ابي داوود سليمان بن الاشعث السجستاني. حققه الدكتور آرثر جفري الطبعة الاولى.المطبعة الرحمانية. القاهرة١٣٥٥هـ.

إعجـــاز القـــران

المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة يظهرها الله على يد النبي على وفق دعواه؛ تصديقاً له.

فلا تتحقق المعجزة الا اذا توافرت الأمور الآتية فيها:

١- أن تكون جارية على غير ما اعتاده الناس وألفوه من السنن الكونية والظواهر الطبيعية. فلم يألف الناس ان تتحول العصا إلى حية، ولا يعجز البلغاء عن الإتيان بمثل كلام بليغ.

٢- أن تكون مقرونة بتحدي المكذبين أن يأتوا بمثلها.

٣- أن تكون سالمة عن المعارضة، فلا يستطيع أحد أن ياتي بمثلها قولا أو عملا، فلو أتى بمثلها لا تكون معجزة.

٤- أن تكون المعجزة من الله وحده.

٥- أن تظهر على يد نبي.

٦- أن تكون على وفق ما يدّعيه النبي، لا مخالفة لدعوته.

لقد كانت المعجزات التي أجراها الله على أيدي أنبيائه ورسله من جنس ما برعت به أقوامهم، لتكون الحجة ملزمة لهم. فحين أرسل الله موسى-عليه السلام- إلى قومه، كانت معجزته من جنس ما برع به القوم آنذاك، إذ كان السحر منتشراً: فكانت عصاه تتفجر منها المعجزات: القاها أمام السحرة فإذا هي حية تسعى، وصارت تلقف ما يأفكه السحرة، وضرب بها الصخرة؛ فانفجرت منها اثنتا عشرة عينا، وكانت معجزة سيدنا عيسى من جنس ما برع به القوم آنذاك، فأبرأ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى بإذن الله.

وحين ارسل الله محمداً ﷺ كانت الفصاحة والبلاغة العربية قد وصلت أوجها، فجعل الله معجزة محمد ﷺ القرآن الكريم، وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا،

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا -أيضا- ثم قال رب العالمين:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء/ ٨٨.

وظل هذا التحدي قائماً، وسيظل -كذلك- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!

لقد كان المشركون حريصين على قبول هذا التحدي لو استطاعوا، لكنهم علموا أن ذلك لم يكن في قدرتهم؛ لذلك لم ينقل عن واحد منهم أنه حدث نفسه أن يأتي بشئ يشبه ما في القرآن، لعلمهم أن ذلك يكشف جهلهم أمام اساطين البلاغة والفصاحة والبيان؛ فعمدوا إلى المكابرة والمعاندة والاستهزاء.

ولقد اختلف العلماء في سبب الإعجاز على مذاهب، ومن أهمها:

١- إخباره بالغيب: ذكر القرآن الكريم كثيراً من الحوادث التي ستقع لمجتمعات بشرية، وقد تحقق ما أخبر به. من ذلك إخباره بهزيمة الروم -وهم أهل كتاب في فلسطين- على أيدي الفرس -وهم عبّاد أوثان- ثم انتصار الروم عليهم بعد ذلك في بضع سنين. وقد فرح المشركون بذلك، وتوعدوا المسلمين أن يصيبهم ما أصاب إخوانهم من أهل الكتاب، وساء المسلمين ذلك. وقد سجل القرآن هذه الحادثة فقال:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة الروم، الآيات ١-٦.

وهذه الآيات الكريمة جاءت بصيغة لا تقبل التأويل ﴿وَعْدَ اللهِّ لا يُخْلِفُ اللهُّ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾. وقد تصوَّر بعض مَن الناس أن الرسول ﷺ وضع نفسه في امتحان عسير؛ إذ حدد الموعد بأقل من عشر سنين؛ إذ البضع في اللغة ما بين الثلاث إلى التسع. وقد تحقق الأمر كما أخبر به القرآن الكريم. وتدل هذه الآيات دلالة واضحة: على أن هذا القرآن هو من عند الله، وليس من عند محمد ﷺ.

ومن إخبار القرآن بالغيب: دخول المسلمين المسجد الحرام وقد تحقق، وعصمةُ الله رسوله من القتل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ سورة المائدة/ ٦٧. وقد تحقق على كثرة من حاولوا قتله صلوات الله وسلامه عليه.

٢- الإخبار عن الماضي بالأنباء الصادقة: كان رسول الله ﷺ أمياً لم يطلع على أقاصيص الأولين وكتبهم وسيرهم: فتحدث القرآن عن آدم وكيف خلق، وعن نوح وعناد قومه، وما كان بينه وبين ابنه الكافر، وعن الطوفان الذي حلّ بالناس. وتحدث عن إبراهيم ودعوته قومه إلى عبادة الله وحده وإلى تحطيمه الأصنام، ثم إلقائه في النار. وتحدث عن سليمان وعلمه بمنطق الطير، وعن يوسف وقصته مع أبيه وقومه وكيد إخوته له، وقصة سيدنا موسى التي وردت في القرآن في ثلاثين موضعاً، وقصة سيدنا عيسى من مولده إلى أن رفعه الله إليه ... فعلم من هذا أن ما ورد من هذه الأخبار كان عن طريق الوحي: وهو جانب من جوانب إعجاز القرآن قال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة هود ٤٩

٣- النظم والأسلوب والبلاغة: وصل القرآن الكريم قمة البلاغة في أسلوبه، وبديع نظمه، وتناسق كلماته، ووجوه إيجازه: فألفاظه فصيحة،

وجُمَلُه وتراكيبه قد أُحكِمتْ إحكاماً لا يستطيعه أحد من العالمين، فوق ما نجده من حسن انتقاء الألفاظ، ودقة الاختيار، وفواصل القرآن، وارتباط الفاصلة بالنص القرآني ...

والقرآن الحكيم يعرض الحادثة الواحدة بطرق متنوعة، وفي كل طريقة معنىً غير المعنى في الحادثة الأخرى. فلا يستطيع المتأمل في القرآن الكريم أن يجد نصين يتكرران ما لم يزد أحدهما معنىً أكثر من المعنى الذي تضمنه النص الآخر، على كثرة النصوص المتشابهة التي يسوقها القرآن الحكيم: ذلك أن السياق القرآني يعرضها كل مرة عرضاً جديداً، مشيراً إلى تفصيلات لا نجدها في العرض الآخر. وهذا ما نجده في القرآن الكريم بكثرة كاثرة: كالآيات التي تتحدث في يوم القيامة، وصور النعيم والعذاب في الدار الآخرة، والمشاهد الكونية الكثيرة، وقصص الأنبياء ... وقد يكون التنويع في الآيات الكريمة بكلمة واحدة، أو بزيادة حرف واحد. وكمثال على هذا ما جاء في قول الله تعالى:

﴿... يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سورة البقرة/ ٤٩

وقوله:

﴿... يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ سورة ابراهيم/ ٦

وهاتان الآيتان تتحدثان في موضوع واحد يتعلق بما أنعمه الله على بني إسرائيل. أما الآية الأولى، فتتحدث بما منّه الله على بني إسرائيل؛ إذ نجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب: يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وأما الآية الثانية، فتتحدث في الموضوع نفسه، لكنها أضافت معنىً آخر بزيادة الواو في قوله ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾، فما المعنى الذي أضافته؟

أما آية سورة البقرة، فقد حددت حقيقة العذاب: وهو تذبيح الأبناء واستحياء النساء، وأما آية سورة إبراهيم، فأشارت إلى أن العذاب كان أنواعاً كثيرة لم يقتصر على تذبيح الأبناء واستحياء النساء، بل هو -فوق ذلك- أنواع أخرى من العذاب. وهكذا اختلف معنى الآيتين حين زيد (حرف الواو) في سورة إبراهيم؛ فلا تكون إحداهما مكررة.

وهكذا يعرض القرآن الحكيم الموضوع كلّ مرة بشكل يُشبه الشكل الذي سبقه، لكنه يضيف معنىً آخر. وهذا -بلا ريب- لون من ألوان إعجاز القرآن؛ فسبحان من هذا كلامه!.

وننظر في القصص القرآني، فنجد صور عرضها متعددة، قد اختلفت في طرق سردها؛ إذ القرآن يسوق القصة كل مرة في جوٍ يختلف عن جو السياق الآخر، فتبدو كأنها قصة جديدة، مع أنّ الأشخاص هم الأشخاص، والحوادث هي الحوادث نفسها. ولكن الذي تغير هو سياق الآية الذي يدخل إلى النفس البشرية دخولاً لطيفاً؛ فيقع التأثر بها.

٤- العلوم الكونية: أشار القرآن الكريم إلى حقائق علمية سيكتشفها الناس فيما بعد فقال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة فصلت/ ٥٣

وحرف السين في قوله تعالى (سنريهم ...) يفيد الاستقبال. أي أن الله ﷻ سَيُري الناسَ دلائل واضحات في هذا الكون وفي النفس الإنسانية، على أن هذا القرآن منزل من عند الله، وأن كل ما جاء به حق لا ريب فيه. وهكذا الأمر في قوله:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ سورة النمل/ ٩٣

وقوله:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ سورة ص/ ٨٨

ويشاء الله أن يجعل غير المسلمين هم الذين يكتشفون كثيراً من الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، في القرنين التاسع عشر والعشرين، بعد أن تقدمت المخترعات، وضَرَبَ التقدم الحضاري بسهم وافر، وأكتشف الإنسان أجهزة حديثة أوصلته إلى اكتشاف تلك الحقائق العلمية. فَمَنْ الذي أعلمَ النبيَّ محمداً ﷺ بهذه الآيات التي أشارت إلى حقائق علمية ما كان يعرفها أحد حين نزول القرآن الكريم لو لم يكن القرآن تنزيلاً من رب العالمين؟!

إن هذا الأمر هو الذي جعل بعضاً من علمائنا يقول: إن ما أشار إليه القرآن من حقائق علمية لون من ألوان إعجاز القرآن وحجتهم: أن القرآن لم يكن خاصاً بالعرب حتى يدركوا بلاغته وفصاحته وبيانه، وإنما هو كتاب أنزله الله إلى الناس كافة: عربهم وعجمهم، فيستطيع كل واحد منهم إدراك شيء من إعجاز القرآن في النواحي العلمية. ولقد وضع هؤلاء العلماء شروطاً في التفسير العلمي فقالوا: إن الآيات العلمية في القرآن الكريم لا تفسر إلا بالحقائق العلمية فلا تفسر بالنظريات، وإن التفسير العلمي يجب أن يكون وفق أساليب اللغة العربية، كما يجب أن لا يعدلَ المفسرُ عن الحقيقة إلى المجاز إلاَّ إذا تعذر حمل الآية على الحقيقة ... وقد أشار القرآن إلى حقائق علمية كثيرة، منها: ما أخبر به من أن الإنسان يضيق صدره إذا ارتفع في أعالي الجو قال تعالى:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ سورة الانعام/ ١٢٥

لقد كان الناس يظنون إلى عهد ليس بالبعيد: أنَّ الإنسانَ إذا ارتفع في أعالي الجو فإنه يتنفس الهواء العليل بسهولة. فلما صنع الإنسان الطائرة الحديثة وطار بها في أعالي الجو، وجد معضلةً تقف أمامه: وهي صعوبة

التنفس، فيضيق صدره لقلة الأكسجين، وكلما ازداد صعوداً ازدادت صعوبةُ التنفس أكثر. فمن الذي أعلمَ محمداً ﷺ بهذه الحقيقة العلمية لو لم يكن القرآن منزَّلاً من عند الله؟!!

ومن أمثلة الإعجاز القرآني قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة يونس/ ٢٤

ونقف هنا وقفة قصيرة أمام قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾. فلو قال القرآن: أتاها أمْرنا ليلاً لحق للناس أن يقولوا في هذا العصر: إن هذا القرآن من عند محمد ﷺ. وهكذا الأمر لو قال القرآن: أتاها أمرنا نهاراً؛ لأن قيام الساعة سيكون في لحظة واحدة، ونحن نعلم أن الأرض التي تكون عندنا نهاراً تكون عند غيرنا ليلاً. لذلك كان القرآن الحكيم دقيقاً كل الدقة حين قال: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾: فتكون ليلاً عند القوم الذين عندهم ليل، ونهاراً عند الذين يكون عندهم نهار؛ لذلك قال الحكيم الخبير في نهاية الآية: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ومن الأمثلة العلمية على إعجاز القرآن قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ سورة النبأ/ ٦-٧

الاستفهام في الآية استفهام تقريري، والآية تحمل حقيقة علمية لم تعرف إلاّ قبل فترة وجيزة من الزمن بالوسائل العلمية الحديثة التي لم يعرفها أحد قبل النصف الأخير من القرن العشرين. فقد تمكن العلماء من اختراع أجهزة تصوّر باطن الأرض بتقنيات دقيقة جداً؛ فتبين من تلك

الصور أن الجبال مغروسة كالأوتاد في باطن الأرض، وأن ذلك الجزء المغروس مدبب كالوتد ليكون الجبل ثابتاً مكانه. ولولا ذلك لما كان للجبل من ثبات. وهذه الحقيقة العلمية لم يعرفها العرب ولا غير العرب حين نزول القرآن، ولم تكتشف إلاّ بعد منتصف القرن العشرين.

وهناك حقيقة علمية أخرى تتعلق بالجبال، أشار إليها القرآن الكريم وهي قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ سورة النحل/ ١٦.

ويبدو من هذه الآية أن الجبال بجذور أوتادها المغروسة في باطن الأرض تقوم بحفظ توازن الأرض لئلا تميد بالناس. ولولا ذلك، لوقعت الزلازل الكثيرة هنا وهناك، ولما استطاع الإنسان أن يعيش على الأرض العيش الاعتيادي.

ومما يدل على إعجاز القرآن قول الله تعالى:

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ سورة الرحمن/ ١٩-٢١

نزلت هذه الآية على النبي الأمي محمد ﷺ، ولم يكن أحد من العرب ولا غير العرب يعرف عن هذه الظاهرة أي شيء كان؛ ذلك أن مياه الأنهار العذبة تصب في البحار والمحيطات المالحة. لكن عذوبة تلك المياه تظل كما هي لا تمتزج بملوحة البحار والمحيطات مسافة طويلة، على الرغم من كثرة المياه المالحة وشدة ملوحتها. إنهما يتجاوران ويلتقيان، لكنهما لا يمتزجان، ويظل كل منهما محتفظاً بخصائصه ومكوناته الكيماوية بسبب ذلك (البرزخ) الذي هو الحاجز الذي يفصل بينهما، فلا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة والاختلاط. وقد اكتشفت بحيرات تحتوي على الماء العذب في باطن المحيطات مع أن الملوحة تحيط بالمياه العذبة من كل جانب.

والأعجب من ذلك أن المياه المالحة نفسها لا يختلط بعضها بالبعض الآخر إذا كانت نسبة الملوحة مختلفة بين الماءين المالحين، فيظل أحد الماءين طافياً فوق الماء الآخر لا يمتزج به. وهذه الظاهرة نراها واضحة كل الوضوح في مياه البحر الأحمر التي لا تمتزج بمياه المحيط الهندي عند (باب المندب) بسبب ذلك (البرزخ) الذي يفصل بين البحر والمحيط.

فمن أين لمحمد ﷺ هذا العلم لو لم يكن القرآن تنزيلاً من رب العالمين؟!

وهكذا الأمر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الإحساس بالألم وإنه يتركز في الجلد، وتسوية البنان، وحركة الأرض والجبال، وأطوار خلق الإنسان ... بل الآيات العلمية في القرآن الكريم وصلت إلى المئات وجاءت علوم القرن العشرين مؤيِّدةً لكل ما ورد في القرآن.

وإذا كان القرآن الحكيم قد أشار إلى حقائق علمية كثيرة، فإن غيره من الكتب المنزلة ليس فيها ما يشبه تلك الإشارات العلمية، ذلك أن الرسالات التي سبقت رسالة الإسلام في الزمن جاءت لأقوام معينين ولم تجئ عامة إلى كل جيل من الأجيال. وكل رسالة من تلك الرسالات ينتهي العمل بها بإرسال رسول جديد. أما الشريعة الإسلامية، فقد أرادها الله أن تكون خاتمة الشرائع، وللبشر -كل البشر- إلى أن تقوم الساعة؛ لذلك جعل الله في هذا الدين كل ما يحتاجه الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهو ليس لجيل دون جيل، بل هو للأجيال كلها، يهديهم إلى طريق الخير والرشاد.

وأخيراً: فإن إعجاز القرآن لا ينحصر في ناحية واحدة أو ناحيتين من هذا أو ذاك، بل هو معجز بكل ما فيه: بفصاحته، وبلاغته، وبيانه، وإخباره بالغيب، وإخباره عن الماضي بالأنباء الصادقة، وباشتماله على العلوم الكونية، وبإعجازه التشريعي ...

المحكـــــم والمتشـــــابه

الإحكام في اللغة: مصدر معناه الإتقان تقول: أحكمت الشيء فاستحكم أي أتقنته فصار متقناً.

أما المتشابه: فهو من الفعل اشتبه أو تشابه التي تدل على المشاركة والمماثلة والمشاكلة المؤدية إلى معنى الالتباس تقول: اشتبهت القبلة على المصلّي: أي التبست ولم تبد واضحة.

وحين نتلو القرآن الحكيم، نجد أنّ الله ﷻ وصف كتابه بالأوصاف الآتية:

١- القرآن محكم: ودليل هذا قوله تعالى:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ سورة هود/ ١.

٢- القرآن متشابه: ودليله قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ سورة الزمر/ ٢٣.

٣- القرآن فيه المحكم والمتشابه: ودليله قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ...﴾ سورة آل عمران/ ٧.

والقول الثالث هو الراجح.

تعيين المحكم والمتشابه

ولقد وقع الاختلاف في المراد بالمحكم والمتشابه على أقوال كثيرة، من أهمها:

١- المحكم ما عرف المراد منه بظهوره واضحا، أو عن طريق التأويل اذا كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه ولم يقف أحد من العباد عليه.

٢- المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه: ما احتمل أوجهاً

٣- المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه ويحتاج إلى بيان في رده إلى غيره.

وهكذا يبدو أن الآيات المحكمات هي: الآيات الواضحات البينات التي لا التباس في المراد بها، وليس فيها شئ من الخفاء في معانيها.

أما الآيات المتشابهات: فقد كثرت أقوال المفسرين في المراد بها فقالوا:

١- هي الآيات التي يوهم ظاهرها معنى لا يتفق مع دلالة المحكم في تنزيه الله. وقد مثلوا لذلك بالآيات التي تضيف إلى الله صفات خبرية:

كالاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ سورة طه/ ٥.

والجسمية في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ سورة الفجر/ ٢٢.

والجوارح في قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ سورة الفتح/ ١٠.

٢- إنها الحروف المقطعة في أوائل السور كقوله تعالى: (الم) و(ق) و(الر)...

٣- الآيات التي قالوا فيها انها من المجمل(١) والمؤول(٢) والمشكل(٣). وقيل غير ذلك.

---

(١)المجمل: هو اللفظ الذي لا يفهم المراد منه الا باستفسار من المجمل وبيان من جهته يعرف به المراد.

(٢)المؤول: هو احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر.

(٣)المشكل: هو اسم لما اشتبه المراد منه بدخوله في اشكاله على وجه لا يعرف المراد منه الا بدليل يتميز من بين سائر الأشكال.

ولزيادة الإيضاح في هذه المصطلحات أنظر: كتب اصول الفقه.

وحين نتأمل في هذه الاقوال نرى أن اقرب ما قيل فيها: هي الآيات التي يشبه بعضها بعضا في المعنى، ولكن يختلف كل منها في دلالته الخفية، فيكون لتلك الآيات تأويلات متعددة لاختلاف الفهم فيها.

أنــــواع المحكـــــم

ليس المحكم في درجة واحدة، بل هو في درجات؛ لذلك تفاوت الناس في فهمه ومعرفة مدلولاته. ننظر في القرآن فنرى فيه آيات يفهمها كل من عرف اللغة العربية، وفيه آيات أخرى لا يفهمها إلا من كان له حظ في العربية وبلاغتها.

وإذا كان الناس يتفاوتون في معرفة كلام البشر، فإن تفاوتهم في معرفة كتاب الله من باب أولى. كيف لا والقرآن كتاب اعجز العرب أصحاب البلاغة والفصاحة والبيان.!

أنواع المتشــــابه

وإذا كان المحكم في درجات، فان الآيات المتشابهة في درجات -أيضاً- بعضها أشد من بعض. ويمثل لها بالحروف المقطعة في أوائل تسع وعشرين سورة من سور القرآن، ومعرفة ما تدل عليه الأسماء والصفات...

تقديم المحكم على المتشابه

ويقدم العلم بالمحكم على العلم بالمتشابه؛ ذلك لان المحكم هو أصل العلم، يقول أبو عبد الله البكر آباذي:

(.. ولأن المحكم أصل، والعلم بالأصل أسبق، ولأن المحكم يعلم مفصلاً، والمتشابه لا يعلم إلا مجملا)[1].

---

(١) الإتقان ٣/ ٣٥

هل يمكن العلم بالمتشابه

للعلماء في ذلك رأيان:

الرأي الأول: أن العلم به ممكن.

الرأي الثاني: أن العلم به غير ممكن.

ومنشأ الخلاف في هذه القضية الواو في قوله تعالى: ﴿... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به...﴾سورة ال عمران/ ٧.

فقد قيل في واو ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ هي واو عطف، فيكون المعنى: ان الراسخين في العلم يعلمون تأويله أيضاً، والوقف عند هذا على كلمة (العلم): (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم...).

أما أصحاب الرأي الثاني فيقولون: إن الواو إنشائية، والجملة مستقلة عن سابقتها، فتكون الواو للاستئناف، ويكون ما بعدها جملة مكونة من مبتدأ وخبر. وعلى هذا يكون المعنى: أن الراسخين في العلم يكلون أمر ما اشتبه عليهم من آيات القرآن إلى الله ﷻ.

والرأي الأول هو الصحيح، وهو ما رجحه كثير من العلماء، واختاره الإمام النووي فقال:

(... والأصح الأول، وأن الراسخين يعلمونه، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته. وقد اتفق أصحابنا وغيرهم من المحققين على أنه يستحيل أن يتكلم الله تعالى بما لا يفيد)(١).

(١)صحيح مسلم بشرح النووي١٦/ ٢١٨.

فوائد المتشابه الذي يمكن علمه

أما فوائد المتشابه الذي يمكن علمه فكثيرة، منها:

١- حث العلماء على الجد والاجتهاد والنظر للوقوف على غوامض القرآن ودقائقه.

٢- لو كان القرآن الكريم كله محكما، لما ظهر التفاضل بين العلماء في الوقوف على دقائقه.

٣- التعب والنصب والمشقة من أجل الوصول إلى مراد الله تعالى في تفسير غوامض القرآن توجب مزيد الثواب.

٤- المتتبع لمراد الله في الآيات المتشابهة، يصير له بتتبعه رصيد علمي كثير؛ ذلك أنه يحتاج في فهم الآيات إلى معرفة علوم العربية من اللغة والبلاغة والنحو والوقوف على أساليب العرب...

فوائد المتشابه الذي لا يمكن علمه

١- ابتلاء العباد به؛ ليفوض المسلم أمر تلك الآيات لله، سواء فهمه أم لم يفهمه، إنه يردد عند قراءته لتلك الآيات قوله تعالى ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

٢- العرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وقد نزل القرآن بلغتهم، ومع ما يملكونه من السليقة العربية التي كانت سجية لهم، فإن قسما منهم قد عجز عن إدراك معاني بعض الآيات؛ فدل ذلك على أن القرآن منزل من عند الله وحده.

موقف العلماء من متشابه الصفات

ذهب العلماء في متشابه الصفات ثلاثة مذاهب رئيسة:

١- التوقف في معناها من غير ميل إلى التأويل، أو الوقوع في التشبيه، وهو مذهب السلف، فهؤلاء يجرون الآيات الخبرية على ظاهرها.

٢- الوقوع بالتشبيه، إذ فسروا آيات الصفات تفسيرا حرفياً.

٣- التأويل: أي تأويل بعض آيات القرآن تأويلا يتفق ولسان العرب، على أن ينزه الله من الجسمية والجهة، مع ملاحظة قواعد التأويل لكيلا يفسر القرآن بالهوى.

الناسـخ والمنسـوخ

يطلق النسخ في اللغة على المعاني الآتية:

١- الإزالة: أي رفع شئ وإحلال شئ آخر محله، فيقال: نسخت الشمس الظل: إذا أزالته وحلت محله.

٢- نقل الشئ من موضع إلى موضع آخر، فيقال نسخ خالد الكتاب: إذا نقله إلى كتاب آخر، وفي هذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سورة الجاثية/ ٢٩ أي ننقل الأعمال إلى الصحف.

٣- الإبطال: ويراد به رفع الشئ من غير أن يقيم له بدلاً، فيقال، نسخت الريح آثار القوم أي أبطلتها.

أما النسخ في الاصطلاح: فهو رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي آخر متأخر، ويسمى الدليل الرافع بـ (الناسخ) والحكم المرفوع بـ (المنسوخ)، ويسمى الرفع بـ (النسخ).

وقد اشترط العلماء في النسخ ما يأتي:

١- أن يكون كل من الناسخ والمنسوخ شرعياً.

٢- أن يكون المنسوخ متقدماً على الناسخ في زمن النزول.

٣- أن يكون هناك تعارض حقيقي بين الدليلين.

ما يقع فيه النسخ

ولا يقع النسخ إلا في الأحكام وهي: الأوامر والنواهي، سواء كانت صريحة في الطلب، أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي، ولا يشمل النسخ شيئا يتعلق بالعقيدة والجنة والنار، ولا بالاخبار بما كان أو بما سيكون كاخبار الأنبياء...

أقسام النسخ

١- نسخ القرآن بالقرآن. وقد اتفق العلماء على جوازه ووقوعه من القائلين به. ويمثلون له بآية الاعتداد بالحول التي نسخت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ...﴾سورة البقرة/ ٢٤٠.

فقد أفادت الآية أن المرأة التي توفي عنها زوجها، لها حق السكن في بيت الزوجية حولا كاملا، كما أن لها النفقة خلال هذه المدة. لكن الآية نسخت بقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾ سورة البقرة/ ٢٣٤.

وهذه الآية تفيد أن الزوجة المتوفى عنها زوجها، يجب عليها البقاء في بيت الزوجية مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، من غير أن تخرج من بيتها إلا عند الضرورة.

٢- نسخ القرآن بالسنة: السنة قسمان: سنة آحاد وسنة متواترة.

أ- أما سنة الآحاد، فلا تنسخ القرآن كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، إذ القرآن قطعي الثبوت، والسنة الأحادية مظنونة الثبوت، ولا يصح رفع المتيقن بالمظنون.

ب- وأما السنة المتواترة، فإنها تنسخ القرآن. وقد ذهب إلى ذلك: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في رواية عنه، لان الكل وحي الله. وخالفهم في ذلك الإمام الشافعي والإمام أحمد في الرواية الثانية، ودليلهما قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ...﴾ سورة البقرة/ ١٠٦.

والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

٣- نسخ السنة بالقرآن. وقد أجازه الجمهور. ويمثلون له بالتوجه إلى بيت المقدس الذي ثبت بالسنة، وقد نسخ بالقرآن في قوله تعالى:
﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ..﴾ سورة البقرة/ ١٤٤.

٤- نسخ السنة بالسنة. وهذا يشمل أربعة أنواع:

أ- نسخ سنة متواترة بمتواترة.

ب- نسخ سنة آحاد بآحاد.

ج- نسخ سنة آحاد بمتواترة.

د- نسخ القرآن بسنة الآحاد. فالجمهور على عدم جوازه.

حكم الآيات المنسوخة

الآيات المنسوخة حكمها كحكم الآيات غير المنسوخة: فهي مثبتة في المصاحف، متلوة بالألسنة. والفرق بين غير المنسوخة والمنسوخة: أن المنسوخة سقط حكمها ونصها ثابت يتلى مثل سائر الآيات. وقد وقع حوار بين عثمان بن عفان وعبد الله بن الزبير(رضي الله عنهم) فقد روى الإمام البخاري عن عبد الله بن الزبير أنه قال: (قلت لعثمان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئا منه من مكانه)[1].

حكمة النسخ

١- مراعاة أحوال الناس. وذلك بالتدرج بالأحكام. حتى تتهيأ نفوسهم لقبول الحكم الشرعي. مثال ذلك قضية تحريم الخمر: فقد بعث

(١)رواه البخاري في كتاب التفسير (باب: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن) وأنظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٨/ ١٩٣و٢٠١ رقم كتبه وابوابه محمد فؤاد عبد الباقي. وقام باخراجه محب الدين الخطيب/ المكتبة السلفية.
ومعنى (فلم تكتبها أو تدعها) أي: لمَ تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة؟.

عليه السلام في مجتمع تأصلت فيه الخمرة. فنزلت الآية التي تنص على أن ضررها أكثر من نفعها قال تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ سورة البقرة/ ٢١٩.

ثم منعت الآية الأخرى الصلاة في حالة السكر فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾.سورة النساء/ ٤٣.

ثم جاءت المرحلة الأخيرة بالتحريم العام فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة المائدة/ ٩٠.

٢- التشريع الإسلامي يتطور إلى ما هو الأفضل، حسب تطور أوضاع الناس.

٣- اختبار الناس ليتبين امتثالهم من عدمه.

٤- في النسخ خير للأمة؛ لأنه إن كان إلى أشق فإن فيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه يسر على الناس.

آراء العلماء في النسخ

تعددت آراء العلماء في قضية النسخ كما يأتي:

١-أنكر اليهود وقوعه، زاعمين أن القول به يستلزم البداء-أي الظهور بعد الخفاء- وزعمهم هذا باطل، لان علم الله أزلي: فهو يغير ويبدل في الأحكام والعبادات على وفق مصلحة البشر.

٢-ذهبت الشيعة إلى القول بالنسخ، بل توسعوا به كثيراً، مستدلين بقول الله تعالى:

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ سورة الرعد٣٩.

كما استدلوا بأقوال نسبوها إلى سيدنا علي بن أبي طالب‌رضي الله عنه.

٣- جمهور العلماء قالوا بجواز النسخ عقلا ووقوعه شرعا، مستدلين بأدلة نقلية وعقلية، فمن أدلتهم النقلية قوله تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ...﴾سورة البقرة/ ١٠٦

وقوله:﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ سورة النحل/ ١٠١.

وأما الدليل العقلي، فهو أن أفعال الله لا تعلل بالأغراض، فإنه -سبحانه- يأمر بالشئ في وقت ثم ينسخه في وقت آخر، لأنه يعلم ما يصلح للناس.

٤- وذهب (أبو مسلم الأصفهاني) [1] إلى جواز النسخ عقلا وامتناع وقوعه شرعاً. وقيل: إنه يمنعه في القرآن بخاصة، مستدلا بقول الله تعالى:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ سورة فصلت/ ٤٣.

أما الآيات التي قيل بنسخها، فيحملها على التخصيص.

(١)هو محمد بن بحر الأصفهاني، كاتب بليغ، ونحوي بارع، وعالم من علماء الكلام على مذهب المعتزلة، كتب تفسيرا للقرآن في أربعة عشر مجلدا سماه(جامع التأويل لمحكم التنزيل). ولد سنة٢٥٤، وتوفي في٣٢٢هـ

أســـــباب الــــنزول

معرفة سبب نزول آيات القرآن فرع من فروع علم التفسير، ولها أهميتها في تفسير قسم من آيات القرآن، بل إن بعضا من آيات القرآن لا يعرف تفسيرها من غير الوقوف على سبب نزولها، وفي معرفة سبب النزول تبيان لحكمة التشريع، وفيه -ايضا- تبيان لمجمل القرآن، وايضاح الخفي منه.

والرسولﷺ لم يملك اختيار الوقت الذي ينزل عليه الوحي بآيات القرآن، فإن ذلك مرتبط بمشيئة الله وحده: فكان القرآن ينزل على الرسول الكريم في الليل والنهار، والسفر والحضر، من غير أن يكون له أيُّ اختيار كان في ذلك... وكان الرسول الكريم يسأل فيجيب من فوره، او ينتظر نزول الوحي حاملا الجواب، مثال ذلك قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ...﴾سورة الانفال/ ١

وقوله:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...﴾سورة البقرة/ ١٨٩.

وقد عبر العلماء عن الوقائع التي نزلت بسببها الآيات بـ (أسباب النزول). وهذا المصطلح هو من باب التسامح والتجوز، والا فهي مناسبات وليست بأسباب حقيقية. وعند التأمل في القرآن الحكيم، نرى أنه ينقسم من حيث ارتباط آياته بسبب أو بغير سبب إلى قسمين:

القسم الأول: ويشمل أكثر آيات القرآن الكريم، فقد نزلت ابتداءاً من غير ان ترتبط بسبب من الاسباب الخاصة، وذلك لارشاد الناس الى العقيدة الصحيحة، وتصف مشاهد القيامة، والجنة والنار، وتتحدث في قصص الامم مع انبيائها.

القسم الثاني: نزل باسباب ووقائع، وكثير من هذا القسم يتعلق بالتشريع والاحكام: فتنزل الآيات بأسباب كأن يكون جوابا عن سؤال، او تصحيحا لأخطاء وقعت، ذلك أن الصحابة الكرام وهم يعايشون احداث السيرة النبوية، يقع فيهم حادث يلتبس عليهم فهمه. فيسألون رسول اللهﷺ عنه، فتنزل الآيات في ذلك مبينة الحكم الفصل. مثال ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال:

(لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه. فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا اليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال ابو لهب: تباً لك، ما جمعتنا الا لهذا؟ ثم قام فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾)[1].

وقد يسأل الرسولﷺ عن شئ، فينزل عليه القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها(أوس بن الصامت)، وذهبت خولة تشكو من ذلك، قالت عائشة: (تبارك الذي وسع سمعه كل شئ، اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها الى رسول اللهﷺ، وهي تقول: يا رسول الله: أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني! اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الايات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]

---

(١)رواه البخاري –واللفظ له- في كتاب تفسير القرآن (سورة تبت يدا ابي لهب وتب) ٦/ ٩٤. ومسلم في كتاب الايمان (باب: وأنذر عشيرتك الاقربين)١/ ١٩٤.

(٢)رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق (باب:الظهار) رقم الحديث ٢٠٦٣، وابن ابي حاتم، والحاكم وصححه.

معرفة سبب النزول

يعتمد العلماء في معرفة سبب النزول على النقل الصحيح عن الصحابة.. اولئك الذين عايشوا نزول القرآن، وشاهدوا أحداثه. يقول الواحدي:

(ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا غلى الاسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلاب)[1].

ونشير هنا الى أن اخبار الصحابي عن سبب النزول إذا كان صريحا له حكم المرفوع ولقد كان أول من صنف في أسباب النزول هو علي بن عبد الله المديني المتوفى سنة ٢٣٤، وكان كتاب علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هو أشهر كتاب صنف في هذا العلم، وأما أجمع كتاب، فهو كتاب السيوطي المتوفى سنة٩١١(لباب النقول في أسباب النزول).

أسباب النزول وفهم القرآن

وأسباب النزول تعين في فهم المراد من الاية، ومعرفة ما فيها من تشريع، يقول ابن دقيق العيد المتوفى سنة٧٠٢هـ.

(بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)[2].

ويقول ابن تيمية المتوفى سنة٧٢٨هـ:

(معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[3].

(١)اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥ بتحقيق السيد أحمد صقر. دار الكتاب الجديد/ لجنة احياء التراث الإسلامي . الطبعة الاولى ١٣٨٩-١٩٦٩

(٢)الإتقان للسيوطي١/ ٨٣.

(٣)مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص١٣ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/ المكتبة السلفية/ القاهرة.

فقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ سورة البقرة/ ١٨٥ قد يشكل فهمه على بعض من يقرؤه، ذلك أن السعي بين الصفا والمروة واجب من واجبات الحج، وعبارة (لا جناح) في الاية قد يفهم منها عدم الوجوب وهذا الاشكال وقع لعروة بن الزبير، وهو من هو دراية في لسان العرب، فسأل خالته السيدة عائشة أم المؤمنين، فأفهمته أن نفي الجناح لا يراد به نفي الفرضية، بل هو نفي لما وقر في أذهان الناس في فجر الاسلام الأول، ذلك أن السعي كان من عمل الجاهلية: فقد كان على الصفا صنم يسمى (اساف)، وعلى المروة صنم آخر يسمى (نائلة)، وكان المشركون في الجاهلية يقومون بالسعي بين الصفا والمروة، ويتمسحون بالصنمين. ولما فتحت مكة حطم الصنمان، وقد تحرج المسلمون من الطواف فنزلت الآية[1].

فوائد معرفة أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول فوائد كثيرة منها:

١- التعرف على حكمة الله فيما شرعه في قرآنه.

٢- الاستعانة به في فهم الآية، ودفع الإشكال عنها كما مر بنا.

٣- معرفة من نزلت الاية فيه على التعيين.

(١)لزيادة الاطلاع ينظر: ما رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن(باب: قد نرى تقلب وجهك في السماء) ٥/ ١٥٣.

ترجمـــة القـــرآن

الترجمة: نقل المعنى من لغة الى لغة اخرى، يقال: ترجم كلامه اذا فسره بلسان آخر. وفي الحديث الشريف.

(ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[1].

وسمي (عبد الله بن عباس) ترجمان القرآن، لانه كان المفسر المعبر عن معانيه.

لقد أنزل الله القرآن الحكيم باللسان العربي، ولكن هل تجوز ترجمته الى لغة اخرى؟

والجواب: ان الترجمة قسمان: ترجمة حرفية، وترجمة تفسيرية:

١- أما الترجمة الحرفية: فهي نقل الفاظ من لغة الى نظائرها من اللغات الاخرى، بحيث يكون النظم موافقا للنظم، والترتيب موافقا للترتيب: فتستبدل كل لفظة بما يقابلها من اللغة الاخرى.

٢- وأما الترجمة التفسيرية: فهي بيان معنى الكلام بلغة اخرى، من غير تقييد بترتيب كلمات الاصل او مراعاة لنظمه[2]. واكثر ما تطلق الترجمة على الترجمة التفسيرية.

ان التعبير العربي فيه من دقائق اللغة ما لا يمكن ان يحل محله تعبير آخر بلغة اخرى.وننظر في القرآن الكريم، فإذا هو قد وصل الى القمة في الفصاحة والبلاغة، فلا يتيسر لاية لغة كانت من اللغات أن تحمل تلك المعاني التي يحملها القرآن بلفظه العربي.

(١)رواه البخاري في كتاب الادب (باب طيب الكلام)، ومسلم في كتاب الزكاة(باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة...).

(٢)مباحث في علوم القرآن للأستاذ مناع القطان ص٣١٣. الطبعة الثالثة ١٣٩٦- ١٩٦٧.

حكم الترجمة الحرفية

لا تجوز ترجمة القرآن ترجمة حرفية، اذ ليس في اللغات مفردات تقابل بعضها بعضا في المعنى كله، بل حتى لو وجد ذلك اللفظ، فان طريقة ترتيب الكلام تختلف من لغة الى لغة أخرى. فلا تستطيع اية ترجمة كانت ان تنقل معانيه التي يتضمنها باللسان العربي.

نماذج من آيات القرآن لا يمكن ترجمتها

وهذه نماذج من آيات القرآن لا يمكن ترجمتها الى أية لغة كانت، قال الله تعالى:

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ سورة القلم١١-١٣.

﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٌ مُّسۡتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٍۭ﴾ سورة المدثر/ ٤٩-٥١.

﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ سورة البقرة ١٨٧.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ سورة الاسراء/ ١٣-١٤.

الى غير ذلك من آيات القرآن الكريم.

وكمثال تطبيقي على ذلك ننظر في قوله عزوجل:﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾سورة الاسراء٢٩.

(فإنك اذا اردت ترجمتها ترجمة حرفية، اتيت بكلام من لغة الترجمة يدل على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد مع رعاية

ترتيب الاصل ونظامه بأن تأتي بأداة النهي أولا، يليها الفعل المنهي عنه متصلا بمفعوله، ومضمرا فيه فاعله، وهكذا ... ولكن هذا التعبير الجديد قد يخرج في اسلوب غير معروف ولا مألوف في تفهيم المترجم لهم ما يرمي اليه الاصل من النهي عن التقتير والتبذير. بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع الذي صيغ به هذا النهي ويقولون: ماباله ينهى عن ربط اليد بالعنق، وعن مدها غاية المد؟ وقد يلصقون هذا العيب بالاصل ظلما، وما العيب الا فيما يزعمونه ترجمة للقرآن من هذا النوع)(١).

لذلك تحرم الترجمة الحرفية للقرآن الكريم: اذ القرآن معجز بلفظه العربي الذي يحمل في طياته الكلمات المتسقة التي بلغت قمة الجمال.

حكم الترجمة التفسيرية

ولا تجوز ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية، اذ ان في القرآن وجوها بلاغية: كالتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف... فلا تستطيع أية ترجمة كانت أن تعبر تعبيرا دقيقا عن تلك المضامين، لانها لا تحمل تلك الخواص، فلا تسمى الترجمة التفسيرية قرآنا، اذ القرآن لا يكون قرآنا الا بلفظه العربي ومعناه.

شروط الترجمة التفسيرية

١- ان تكون الترجمة متمشية والاصول المقررة في الشريعة الاسلامية وعلوم العربية.

٢- ان يكون المترجم دقيقا في ترجمته، بعيدا عن الاهواء الضالة والعقائد الزائغة.

٣- أن يقوم بكتابة القرآن أولا، ثم يكتب تفسيره بعده، ثم يتبع ذلك بترجمته التفسيرية، لكيلا يتوهم متوهم أن هذه ترجمة حرفية للقرآن(٢).

---

(١)مناهل العرفان٢/ ١١٢.

(٢)محاضرات في علوم القرآن ص٢٠٨.

المذاهب الاسلامية وترجمة القرآن

ذهبت المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية-في الراجح- الى حرمة ترجمة القرآن الى أية لغة كانت ، لا فرق بين أن تقرأ الترجمة في الصلاة أو في غيرها، اذ القرآن لا يكون قرآنا إلا بالنظم والمعنى معاً، والترجمة تفوت النظم فيخرج الكلام عن الإعجاز . واستدل القائلون بحرمة الترجمة بادلة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة يوسف / ٢. فإن الله تعالى ينص هنا على انه أنزل قرآنه باللسان العربي، واذا ترجم الى لغة أخرى لا يكون عربيا. وهكذا تكون اللغة العربية ملازمة للقرآن الكريم ملازمة تامة. قال ابن قدامة المقدسي:

(ولا تجزئه القراءة بغير العربية، ولا ابدال لفظها بلفظ عربي، سواء أحسن قراءتها بالعربية او لم يحسن)[1]. ثم قال:

(فإن لم يحسن القراءة بالعربية لزمه التعلم، فان لم يفعل مع القدرة عليه لم تصح صلاته)[2].

وجاء في مغني المحتاج:

[فإن جهل الفاتحة فسبع آيات متواليات]... فلا يجزئ دون عدد آياتها ولا الترجمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، فدل أن العجمي ليس بقرآن، بخلاف ما إذا عجز عن التكبير أو الخطبة او الاتيان بالشهادتين بالعربية، فانه يترجم عنها، لان نظم القرآن معجز)[3].

وقال ابن حزم

(١)المغني لابن قدامة المقدسي ١/ ٣٥٠ بتحقيق الدكتور طه محمد الزيني/ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة ١٣٨٨-١٩٦٨.

(٢)المغني لابن قدامة ١/ ٣٥١.

(٣)مغني المحتاج للشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج للنووي ١/ ١٥٩. الناشر: المكتبة الاسلامية.

(من قرأ أم القرآن أو شيئا منها، او شيئا من القرآن في صلاته مترجما بغير العربية، او بالفاظ عربية غير الالفاظ التي أنزل الله تعالى عامدا لذلك، أو قدم كلمة أو أخرها عامدا لذلك: بطلت صلاته وهو فاسق، لان الله تعالى قال:

[قرآنا عربياً] وغير العربي ليس عربيا فليس قرآنا- واحالة رتبة القرآن تحريف كلام الله تعالى، وقد ذم الله تعالى قوما فعلوا ذلك فقال: [يحرفون الكلم عن مواضعه]... ومن كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولا يحل له أن يقرأ أم القرآن، ولا شيئا من القرآن مترجما على أنه الذي افترض عليه ان يقرأه، لانه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفتريا على الله تعالى) [1].

وقال ابن تيمية:

(فأما القرآن : فلا يقرؤه بغير العربية سواء قدر عليها او لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذي لا ريب فيه)[2].

أحكام تنبني على معاني القرآن

قلنا: ان ترجمة معاني القرآن لا تعد قرآنا. وعلى هذا تنبني الأحكام الاتية.

١- لا يتعبد بقراءة ترجمة معاني القرآن كما يتعبد بقراءة القرآن الكريم.

٢- لا تجوز قراءة ترجمة معاني القرآن في الصلاة.

٣- يجوز مس الترجمة بغير طهارة.

٤- لا يجوز أن نسمي ترجمة معاني القرآن بـ (ترجمة القرآن) .

٥- لا تستنبط من الترجمة الأحكام الشرعية.

(١)المحلى لابن حزم ٣/ ٢٥٤/ منشورات المكتب التجاري/ بيروت.

(٢)إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص٢٠٣ بتحقيق محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة/ بيروت.